

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

# الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٢٠ الخميس ١١ ربيع الاول سنة ١٣٨٣ اول اغسطس سنة ١٩٦٣ السنة الحادية والعشرون


الفهـــرس



## جيشنا فى سجل المجد

بقلم أحمد حسن الزيات

جرى على خاطرى وانا اشهد العرض العسكرى الكبير فى عيد الثورة الحادى عشر قول الرسول صلوات الله عليه : « اذا افتح الله عليكم بمصر فاتخذوا بها جندا كثيفا فان هــذا الجند خير أجناد الارض » فرجعت بالذاكرة الى ما سجل التاريخ لهذا الجيش الأصيل الحر من الايام المشهودة والوقائع المأثورة فوجدت فى كل يوم وفى كل واقعة مصداقا لهـــذه الشهادة الكريمة .

والواقع الذى جرى بالأمس ويجرى اليوم لايزال يؤيد أن الجندى المصرى خير أجناد الأرض لا « لأنه قهر الحجاز ولم تقو على قهره تركيا ، ولا لأنه فتح عكا وقد عجزت عن فتحها فرنسا ، ولا لأنه سحق الجيش التركى فى نصيبين ولم تســـتطع سحقه روسيا ، ولكنه خير اجناد الأرض « لأنه خرج من سلطان الاحتلال وطغيـــان الملكية سليم الروح نقى الجوهر صليب العود شديد الطماح بعد سبعين سنة قضاها فى اسار الذل غريبا فى وطنه بعيدا عن حصونه مجردا من سلاحه ، تساومه سيطرة الانجليز على عزته ، وتراوده رخاوة الكســـل على حميته ، وتغالبه دعة الفراغ على بطولته ، ومضى الشامتون والمتشائمون يقولون : ان الاحتلال صير مصر امراة ، لهـــا الزينة والمتاع ، وعلى عشاقها النفقة والدفاع ، حتى زين العبث لبعض الحمقى من الساسة العملاء القدماء أن يزوجها من انجلترا زواج الابد لتضمن الكاسب وتأمن الغاصب . وجعل الانجليز والملك الذى تصبوه

يعملون لدوام هذه الحال حتى لا يثور الجيش فيزول سلطان ويدول ملك ، فعاثوا فى النفوس ، وعبثوا بالضمائر ، وسلطوا الشهوات على الأدوات الحاكمة ، ونشروا الفساد فى القوات المسلحة ، حتى اذا حسبوا الحرب فى فلسطين بين جيوش العرب السبعة وجيش اليهود الواحد ، انهم بلغوا ما ارادوا كذب الله حسبانهم حين شبت وضرب القدر ضربته الصاعقة بينهم فتفرقت الجنود وتمزقت الالوية ولم يبق فى المعركة الا الجيش المصرى وحده على الرغم من فساد ذخيرته ونفاد ميرته .

وكانت خيانة الأوغاد للجيش الباسل من خلف الخطوط قد فعلت فعلها فى نفوس قواده الاحرار فتقصصوا أثرها حتى وجدوا اقدامها القذرة تنسل من قصر عابدين وتطوف سرا على اهلها فى دواوين الوزارة واواوين الامارة ومواخير الفسق ، ثم تمضى مقنعة بالجاه محروسة بالنفوذ محاطة بالتلصص حتى تدخل على القوات المحاربة القالبة بالهدنة الغادرة والاسلحة الفاسدة والاوامر الخادعة ، هنالك صرخ المجد الموروث فى دماء الضباط الشباب فأخذوا ذلك الملك الماجن والقوه فى البحر ، وقبضوا على حاشيته الفاجرة وطرحوهم فى السجن ، ولببوا الساسة المريبين وحجزوهم فى المعتقل ، وركلوا الموظفين المجرمين والقوهم فى الطريق ثم فتحوا بايديهم البيضاء أبواب الصلاح والاصلاح على عهد جديد مشرق النور خالص الضمير صادق العزيمة اقروا فيه حياة مصر على الوضع الصحيح ، واقاموا سياستها على النهج الواضح ، ورفعوا بنيها الى مقام الانسان الحر المريد ، فملكوا باسمه ونزلوا على حكمه واعادوا أرض آبائه اليه ، وردوا غلة أرضه عليه ، واشعروه أن له قولا يسمع وامرا يطاع وحكما ينفذ .

ان المجد الذى ناله الجيش المصرى فى احد عشر عاما من طرده المحتل من أرض الوطن ورده العدوان عن قناة السويس ودفعه الرجعية عن ثورة اليمن لا يطاوله مجد فى تاريخ الجيوش جمعاء ، ولكنه لا يزال ملء الاسماع والابصار والافئدة فى العالم كله . فلاتركه الى تقديرك لأروى لك صفحتين من سجل امجاده التى انقذت الامة العربية وحفظت الحضارة الإنسانية .

(٢)

كانت الأمة العربية فى أواخر القرن الخامس الهجرى وما بعده قد اوهنتها العلل السياسية والاجتماعية حتى تركتها فى نزع الروح . كانت تسير فى طريقها المظلم الى مصيرها المبهم من غير قائد يقود ولا ذائد يذود ولا صالح يصلح . كان وطنها قد تقسمته الأطماع وحكمته الفوضى ، وكان دينها قد افسدته الاباطيل وشوهته الفوضى .

وكانت الاقدار تجرى على سنة الله فى المستضعفين من خلقه ، تهيىء الأسباب لعدوان القوى ، وتعد الوسائل لسلطان القاهر . كانت تهيىء بطرس الناسك ليهاجمها بعصبية الصليب من الغرب ، وتعد هلاكو الفاتك ليداهمها ببربرية التتار من الشرق ، وقضى الله ان يقهر الصليبيون القدس واكثر بلاد الشام ، وان يجتاح التتار بغداد واكثر بلاد العراق ، وصحب هذين الوباءين فواجع فى الانفس والاعراض والاموال ، فذبح الفرنسيون الذين استولوا على بيت المقدس سنة ٤٩٢ بقيادة جو دفروابويون سبعين ألفا من المسلمين ذبح الخراف ، وقد بلغت دماؤهم المسفوكة فى محراب داود ومسجد عمرو ركبتى الفارس الصليبى كما قال المؤرخ الفرنسى (فنك برنتانو) . وظن السفاكون الذين رسموا على قمصانهم اشراط الصليب أن المسلمين قد ابتلعوا ما يملكون من النقود فكانوا يبقرون بطونهم ليبحثوا فيها فلما اتعبهم شق البطون وفتق المصران كدسوا جثث الاحياء والاموات أكداسا واوقدوا فيها النار واخذوا يبحثون فى رفاتها عن الذهب المصهور والجوهر المكنون ! ومثل ذلك وافظع منه فعله التتار فى بخارى وبغداد . وعلى هذه الوحشية الطاغية ظل الفرنسيون ينشرون الفزع والجوع والذل فى فلسطين والشام احدى وتسعين سنة تبددت فى عواصفها اضواء الاسلام ، وتطامنت فى زلازلها كبرياء العروبة . ووقع بعد قرن ونصف من الزمان ذلك الطوفان الدموى الذى فار فى الشرق بتغلب التتار على الخلافة فى العراق ، ثم انتشر حتى اجتاح الشام وهدد مصر . فدجا الظلام حتى كاد يسطو على نور الوحى ، وكلب الزمان حتى كاد يعفى على تراث النبوة . ولولا أن تداركهما الله بالجيش المصرى فسحق الصليبيين فى ( حطين ) ومحق التتار فى ( عين جالوت ) لحلت الكارثة .

« ٣ »

سار صلاح الدين سلطان مصر بجيشه المظفر الى امارات الفرنج بفلسطين وسورية مخترقا جبال سيناء الوعرة فى وقدة القيظ حتى احتل طبرية .

وفطن الأمراء الصليبيون لما يريد فاستنفر بعضهم بعضا وتجمعوا بصفورية . وفى اليوم الرابع من شهر يوليو سنة ١١٨٧ م التقى الصليب والهلال على تلال ( حطين ) . فلما تراءى الجمعان ثارت فى دماء المصريين حمية الجهاد فمحوا اللاتين بالسيوف وكسحوهم بالخيل حتى قال المؤرخ الفرنسى م. بوجولا فى كتابه تاريخ أورشليم : « لقد استحر القتل بالصليبيين حتى كان من ينظر القتلى يظن أن المسلمين

لم يأسروا احدا ، ومن ينظر الأسرى يظن انهم لم يقتلوا احدا » .

وانخلعت لهذا النصر المبين قلوب الأمراء المستقلين بالمدن الساحلية من فلسطين وسورية فاستسلموا لصلاح الدين ونزلوا على حكمه ، وبذلك تطهرت فلسطين من رجس الدخيل الباغى فلم يبق فى ايدى الفرنج منها الا القدس وقد لجأ اليها المنهزمون من المدن المفتوحة ، فسار اليها السلطان البطل من عسقلان ، وكان حريصا أن يجنبها ويلات الحرب لقداستها المشتركة بين الأديان الثلاثة . فاستوفداليه بعض زعمائها وطلب منهم تسليم المدينة فأبوا الا القتال ، فاقسم الا يأخذها الا بالسيف . وأمر الجيش فسلط على اسوارها المنيعة قذائف الدمار . فلما استيقن ( يليان ) أن السور لايمنع وأن القتال لايدفع طلب الأمان فأباه عليه السلطان لئلا يحنث فى يمينه . فقال له ( بوليان ) بلهجة اليائس : ان فى المدينة ستين الف مقاتل ، سيخرجون اليك بعد أن يقتلوا نساءهم واطفالهم ، ويدمروا متاعهم واموالهم ، ثم يقاتلوا حتى يقتلوا ، فارتاع صلاح الدين لهذا التهديد واستفتى الفقهاء فى يمينه فأفتوه بأن ما وقع من القتال خارج السور كاف لابرار قسمه ، وأن فى وسعه أن يعتبر من فى المدينة من الصليبيين أسرى حرب . فأخذ بهذا الرأى وجعل الفداء عشرة دنانير عن كل رجل ، وخمسة عن كل امرأة ، وديناراً عن كل طفل ، وأجلهم اربعين يوما يؤدون اليه فيها الفداء . فمن وجد منهم فى المدينة بعد انقضاء الأجل المضروب اصبح مملوكا للسلطان .

ودخل جيشه المدينة دخول جيش محمد مكة : ذكر الله على لسانه ، وتقواه ملء قلبه ، فلا عين تمتد الى متاع ، ولا يد تنبسط بمكروه . وقام الجباة على الأبواب فخرج يليان ومعه سبعة آلاف فقير أدى عنهم الفدية ، واقبل فى عقبه البطريرك الأكبر ومعه كنوز الكنائس من جواهر وذخائر وأموال ، فلم يعرض صلاح الدين لشيء مما معه على الرغم من اعتراض أصحابه ، وأبى أن يأخذ الا الدنانير العشرة المقررة . ثم انقضى الأجل ولا يزال فى المدينة آلاف من الفقراء الذين لايملكون الفداء فأصبحوا أرقاء . قال المؤرخ الصليبى ( ارنول ) وكان فيمن شهدوا ذلك اليوم : « فتقدم العادل الى اخيه صلاح الدين وقال له : سيدى ! انى اعنتك والحمد لله على فتح هذه البلاد فهب لي الفا من أرقاء هذه المدينة . فلما اجابه الى ما طلب أعتقهم من فوره . وتقدم يليان والبطريرك الى السلطان بما تقدم به العادل فوهب كلا منهما الفا فأعتقاهم . والتفت صلاح الدين الى من حوله وقال : لقد ادى اخي صدقته وكذلك فعل يليان والبطريرك ، وبقى أن أؤدى أنا أيضا صدقتى . ثم أمر بأن ينادى فى المدينة أن العاجز عن اداء الفدية حر لوجه الله وله أن يخرج . فاستغرق خروجهم بياض النهار لكثرتهم كما قال ارنول !

فأين ما فعل صلاح الدين مما فعل جودفروا ؟ أليس الفرق بين الفعالين هو الفرق بين الكفر والايمان ، وبين الوحشي والانسان ؟

« ٤ »

استولى هولاكو السفاح على العراق سنة ٦٥٦ هـ ثم اندفع منه الى الشام اندفاع السيل الجارف ، ثم وقف بجنوده القساة على حدود مصر ، فلو أنه فتحها لفتح المغرب العربى كله ودمر الحضارة الأوربية تدميرا لا حيلة فيه ولا نجاة منه كما يعترف بذلك المؤرخون الأوربيون انفسهم . وتلك يد أخرى للجيش المصرى على العالم بأسره .

أرسل هولاكو الى سلطان مصر الملك المظفر يتوعده ويتهدده اذا لم يبذل الطاعة ويقر بالخضوع فثارت به الحمية وملكته عزة النفس واستنفر المصريين لجهاد التتار فنفروا خفافا وثقالا وهم يعلمون أن العدو الذى لم يهزم قط بلاء لا يكشف وقضاء لا يرد . فسار بهم الى فلسطين مقدما امامه الأمير بيبرس . وجرت بين المصريين والتتار موقعة عظيمة عند ( عين جالوت ) فى شهر رمضان من سنة ٦٥٨ . يقول المقريزى فى وصف هذه المعركة : ( فلما كان يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان اصطدم العسكران وفى قلوب المصريين وهم عظيم من التتر ، وذلك بعد طلوع الشمس وقد امتلأ الوادى وكثر صياح أهل القرى ، وتتابع ضرب كوسات السلطان والأمراءفتحيز التتر الى الجبل ، فاضطرب جناح السلطان وانتقض طرف منه ، فألقى الملك المظفر عند ذلك خوذته عن رأسه الى الأرض وصرخ بأعلى صوته : وا اسلاماه ! وا اسلاماه ! وا اسلاماه ! وحمل بنفسه وبجيشه حملة صادقة فكسروا التتار ثلاث كرات فى ثلاث مرات ، وقتل قائدهم كتبغا وانهزموا هزيمة منكرة صدتهم عن مصر وأجلتهم عن الشام وردتهم الى العراق .

---

هذان مجدان من أمجاد الجيش المصرى كان فيهما مثابة لأمن الشرق وملاذا لثقافة الاسلام وحمىلحضارة العالم . ولن يكون مجده فى اليمن آخر أمجاده ، ولا جهاده فى سبيل نهضتنا غاية جهاده .

**احمد حسن الزيات**

# مِنْ وَحْيِ القُرْآنِ

للدكتور محمد يوسف موسى

**« آمنوا بالله ورسوله ، وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير »**

**لعل الكلام عن هذه الآية من القرآن الكريم ، وعن الآفاق التي تفتحها امامنا ، وعن الاعمال التي تدفعنا اليها ، هو خير ما نفتتح به كتابتنا للرسالة في عهدها الجديد ، وهي المجلة الحبيبة الى نفوس ابناء العروبة والاسلام جميعا ، والتي افاد منها الادباء والكتاب في كل بلد من بلاد امتنا المجيدة ، والتي كان لنا شرف الاسهام في تحريرها في ذلك الماضي المجيد .**

وبعد ، ان كتاب الله تعالى هو الذي اخرج الله به العالم من الظلمات الى النور ، وهو القول الفصل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وآتانا الله به العقيدة الحقة ، والشريعة العادلة ، والأخلاق الفاضلة ، وهو الذي جعلنا جل شانه به خير امة اخرجت للناس ما دمنا نؤمن بما جاء به ، ونعمل بأوامره ونتجنب نواهيه .

وبهذه الآية الكريمة يخاطب العليم الحكيم المسلمين فيطلب منهم تحقيق الايمان بالله ورسوله ، والثبات على هذه العقيدة التي هي رأس الفضائل واساس النجاح في الدنيا والآخرة ، كما يأمرهم بالانفاق مما آتاهم الله من فضله وجعلهم خلفاء له فيه ، فانه هو الذي له ملك السماوات والارض ، ويعدهم على هذا بالأجر الكبير في حياتهم الأولى وحياتهم الأخرى .

والاسلام يقوم على الأصول التي بينها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في حديثه عندما جاءه جبريل عليه السلام يسأله عن الايمان والاسلام والاحسان ، وأول هذه الأصول هو « شهادة الا اله الا الله وان محمدا رسول الله » ، ومعنى هذا اعتقاد المسلم هذه العقيدة والاعلان بها ، بحيث تكون ملاك امره كله بعد ان اطمأنت اليها نفسه وامتلأ بها قلبه ، فيصبح لا يعيش الا لها ، ولا يصدر في قول أو عمل الا عنها .

وقد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم ما لهذه العقيدة من أثر لا يقدر قدره ، وما لها من حقيقة يجب ان نعرفها ونعيها ونوليها كل رعاية وعناية .

ولذلك كان من الطبيعي أن يلتفت اليها اول امره ، وان يعنى بها العناية الشديدة ، مع حاجة العرب الذين بعث فيهم ، وغيرهم من سائر الامم الذى بعث اليهم ، للاصلاح في كل نواحي الحياة .

انه لم يجعل همه قبل كل شيء الا الدعوة الى هذه العقيدة ، وفي تصحيح عقيدة من كان يعيش بين ظهرانيهم ، مؤمنا تمام الايمان بانه حين يصل من ذلك الى ما يريد الله ، كان هذا ايذانا من العليم الحكيم بالاصلاح الشامل ، وحينئذ يدين للعرب العالم كله ، وتصبح امته المجيدة خير امة اخرجت للناس ، ويكون مقامها مقام الامامة والتوجيه .

وحين اتم الله على العرب نعمته واكمل لهم دينهم الذى رضيه لهم وصاروا مؤمنين حقا بالله ورسوله وشريعته ، وعاملين بما امرهم الله ورسوله به ، حصل أعظم انقلاب عرفته البشرية ، وصار هؤلاء العرب على غير ما كانوا عليه في كل نواحي الحياة .

انهم صاروا على عقيدة واحدة تقوم على عبادة الله الواحد ، والايمان برسول واحد هو خاتم رسل الله وانبيائه ويسعون لغاية مجيدة واحدة وهي أن يكونوا خلفاء الله في ارضه وميزان الحق والعدالة بين الناس .

انهم صاروا خلقا آخر في كل شيء ، صاروا الهداة الى الدين الحق بعد ان كانوا عنه في ضلال بعيد ، صاروا الأمناء الصادقين فيما يصدر عنهم من أقوال واعمال ، صاروا رحماء بانفسهم أشدة على اعدائهم ، صاروا سادة وقد كانوا مسودين ، وبجملة واحدة انهم صاروا قادة البشرية الى الخير ودعاة العالم الى حياة العزة والكرامة .

واذا كان الله تعالى يخاطب بهذه الآية المسلمين المؤمنين بالله ورسوله ، فانه يعلم ما يدعو اليه الايمان من عمل بشريعته التي رضيها الله لنا وللناس جميعا ، ومن الاخلاق الفاضلة التي بها يقوم أمر الفرد والمجتمع والأمة ، ومن بذل وتضحية في سبيل الله والخير العام ، ولهذا كله كان يأمرهم بالايمان بالله ورسوله انما يأمرهم بتحقيق هذا الايمان في قلوبهم ، وبأن تكون أعمالهم في كل حال على وفقه .

وذلك بأنه فى هذا العصر وفى كل عصر نرى كثيرا من الناس يشهدون بوجود الله والا اله الا هو وبأن محمدا عبده ورسوله ، كما يقرون بجميع سائر أصول الاسلام والايمان الخمسة ، ومع هذا لايدفعهم هذا الايمان الذى يزعمون من البعد عن الطريق السوى ورفض كثير من تشريعات الله ورسوله والوقوع فى كثير مما حرمه ونهى عنه .

انهم بذلك يتناسون ما يعرضهم له ما هم عليه من عصيان الله ورسوله من الخروج عن الاسلام الذى يقوم على التسليم والاستسلام لله فى كل ما يقولون ويفعلون ، وقد كان حريا بهم ان يعرفوا أن الشاعر العربى قد أصاب حين قال : « ان المحب لمن يحب مطيع » .

ان الذى يدير معصرة للخمر ، أو ناديا للقمار ، او يعمل فى غير هذا وذلك مما حرمه الله ، لا يكون حريا بوصف الايمان الحق ، لأنه لوكان مؤمنا بالله حقا ومصدقا برسوله وبما جاء به من شريعة عادلة ، ومؤمنا كذلك بما أعد الله لعباده الطائعين والعاصين من ثواب وعقاب فى الدار الأخرى ، لماجرؤ على الاقدام على هذه المعاصى ونحوها ، وصدق الرسول حين يقول فى بعض أحاديثه « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر شاربها حين يشربها وهو مؤمن » .

ولعل مما يدلل على أن الانسان اذا خرج عن حكم الله ورسوله ورفض الخضوع لما جاء به الاسلام من التشريعات الحكيمة يكون قد وضع نفسه موضع الخارج عن الدين المتمرد على ما قضى الله ورسوله به ، هو قوله تعالى فى سورة النور : « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا » .

وذلك أيضا بأن الايمان عقيدة حقة تدفع – متى كانت صادقة – صاحبها الى الأعمال الصالحة ، فهو دائما مطيع لله فى كل أمره لا يخرج عن أوامره ونواهيه فى أى شأن من شئونه ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره « سبحانه وتعالى » أن تصيبهم فتنة ، أو أن يصيبهم عذاب أليم هذا ، وبعد الأمر بالإيمان بالله ورسوله فى الآية الكريمة ، نراه جل وعز ، يأمرنا بالانفاق من المال الذى جعلنا خلفاء له فيه ، وتلك حقيقة ينبغى أن نضعها دائما فى قلوبنا وأمام أبصارنا فى كل حين .

انه سبحانه وتعالى له ملك السماوات والارض ويمنح من يشاء من عباده ما يمنحه من الرزق الواسع والمال الكثير ، تفضلا منه وانعاما عليه ، وهذا الذى يمنحه يعتبر فى ظاهر الأمر مالكا له الى حين ، فقد كان فيه خليفة لمن سبقه ، وسيخلفه غيره فيه بعد وفاته ، بل ربما يخلفه فيه فى حياته .

وهذه الحقيقة تجعل من الحمق ان يضن الانسان بشىء لا يملكه على الحقيقة وسيزول عنه حتما فى يوم ما ، بل ان العقل هو فى الانفاق من هذا المال فى وجوه الخير التى أمر الله بها ، على نفسه وأهله بالمعروف ، وعلى اخوانه فى الدين والوطن الذين يحتاجون لعونه ، والذين لا يجد الواحد منهم بعمل يديه وجهده ما يكاد يعيش منه عيشة كريمة وهم جميعا مثله عباد الله وعياله ، والرسول يقول : « خير الناس عند الله أنفعهم لعياله » والله جل شأنه قد جعل لهم حقا معلوما فى أموال الأغنياء غير الزكاة ان لم تف بحاجتهم ، ولصاحب السلطان أن يكرههم على أداء هذا الحق لأصحابه ان لم يبذلوه عن رضا طيبة بذلك نفوسهم ، وذلك هو لب الاشتراكية الاسلامية العادلة .

---

ويختم الله تعالى الآية بقوله : « فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير » . ذلك بأن الله وهو العليم بطبائع النفوس ، الخبير بخبايا القلوب ، والذى يعلم ما فطر عليه كثير من الناس من حب المال والشح به حتى عن انفاق القليل منه فى الوجوه الطيبة والسبل المشروعة ، لم يكتف بالأمر بالانفاق من المال الذى لسنا الا خلفاء فيه ، بل وعدنا على ذلك بالأجر الكبير اذا آمنا بالله ورسوله وأدينا ما فى أموالنا من حقوق.

تلك يا أخى آية محكمة من كتاب الله وفى العمل بها الخير لنا جميعا فى الدنيا والآخرة ، وبالعمل بها تكون حقا خير أمة أخرجت للناس ، ونعم أجر العاملين .

الدكتور محمد يوسف موسى

# شخصية سورية

## للدكتور محمد أحمد خلف الله

كانت مصر في القرن التاسع عشر كالحرم المباح الذى يحج اليه كل قاصد دون قيد أو شرط . وكان اليونانيون والأرمن ، والمالطيون والطليان ، والقبرصيون والصقليون ومن اليهم يرتادون هذا الحرم ، وينظرون اليه نظرتهم الى الملك المشاع الذى يدعى كل انسان ان له فيه حقا . فكانوا يستقرون فيه ، ويزحمون ابناءه في كل شيء حتى في لقمة العيش . ولم يكن من حق احـــد من المصريين أن يمسهم باذى أو ينالهم بسوء ، فقد كان لهم من الحقوق ما يجعلهم أعلى مرتبة من كل واحد من المصريين مهما طار صيته وعلا شأنه ، فلقد منحهم خليفة المسلمين – في ساعة صحو او ساعة غفلة – من الحقوق والامتيازات ما جعلهم فوق القانون في كل بلاد الخلافة . وساعدتهم هـــذه الامتيازات او هذه الحماية على ان يكون لهم الغنم ولغيرهم الغرم ، فأثروا على حساب المصريين ، واصبحوا من العظماء والوجهاء الذين يعتمـــد عليهم السلطان ، ويقصدهم كل ذى حاجة – حتى من هم من أولاد البلد من مصرنا العزيزة .

وكان اخواننا السوريون يعلمون من امر مصر كل شيء ، فهى في عرفهم البلد الطيب والمقام الكريم . البلد الذى قال فيه القرآن الكريم – اهبطوا مصر فان لكم ما سألتم – وكانوا يرون أنهم احق بخيراتهـــا وكنوزها من الأرمن والطاليـــان والمـالطيين لانهم والمصريين ابناء امة واحدة هى الامة العربيـــة . وهم والمصريون سواء في الحقوق والواجبات لاامتياز لسورى على مصرى ، ولا رعاية خاصة له .

وكان أديب اسحاق من الذين يسمعون الأحاديث عن الســـوريين الذين جاءوا مصر وكتب لهم الفوز فأصبحوا من الأعيان والوجهاء من أصحاب الثراء الواسع والجاه العريض . فهفت نفسه هو الآخر لان يتخذ من مصر مهاجرا ومستقرا .

كانت عدته عند مجيئه كتاب توصية كتبه الدكتور شبل شميل لصديقه الحميم السيد جمال الـــدين الأفغانى ، يقدم اليه فيه الفتى ويوصيه به خيرا .

ولم يكد الفتى يلتقى بجمال الدين حتى اكتشف فيه السيد الفتى الألمعى الذكى الذى يقول الشعر ، ويكتب النثر ، ويجيـــد الترجمة . فقربه منه وعاونه على اكتشـــاف نفسه ، واكتشاف البيئة الجديدة التى اتخذ منها مستقرا ومقاما .

كانت مصر في ذلك الوقت تشهد صراعا عنيفا حادا بين قوى ثلاث ! قوة النفوذ الأجنبى ، وقوة السلطان الجائر أو الحكومة المستبدة ، وقوة الشعب . واختار أديب اسحاق ان يقف الى جانب الشعب يذود عنه ، ويعبر عن ارادته ، ويبصره بمواقع الزلل ، ويعرفه بما له من حقوق وبما عليه من واجبات . وكانت وسيلته الى ذلك الكتابة في الصحف ، والانخراط في سلك المنظمات السياسية .

انشأ من أجل ذلك صحيفته التى سميت باسم – مصر – ونذر على نفسه أن يجعلها في خدمة الأفكار الثورية التى تختمر في الأنفس وتحدث الانقلابات التى تمكن من الاصلاح الجذرى « فآليت على نفسى الا امسك القلم عن تهيئة الخواطر لثورة الأنفس حتى ارى في منبتى ما رايت في غيره من محاسن آثارها . والا اعدل عن مقاومة الظالمين حتى ارى قومى امة تقول ما تعتقد ويؤخذ بما تقول . والا ابرح متوسلا لنبهاء الشرق بحرمة المجد القديم ووحدة الذل الجديد أن يضرموا في القلوب نار الغيرة والحمية ، حتى أرى الشرق وطنا عزيزا – فلا عزة للوطن الا بالأمة . ولا وجدان للأمة الا بالحرية » .

وانتظم اديب اســـحاق في سلك الحزب الوطنى القديم الذى قاد الثورة العرابية فيما بعد ، وجعل من نفسه الكاتب الأول الـــذى يدافع عن الحزب امام المعارضة ، والذى يشرح اهدافه لكل من الانصـــار والاعوان او الخصوم والأعداء – على حد سواء .

« فالحزب الوطنى غير متعصب الا في وطنيته . والحزب الوطنى غير معاد الا للخائنين .

يروم أحياء مصر لأهل مصر وترومون اماتتهم جميعا يا أيها اللؤماء .

---

ويريد ان يكون المصرى في مقام الانسان – مستقلا بوجوده ، متمتعا باستقلاله ، قائما بحقوقه ، ناهضا بواجباته ، وتريدونه في منزلة الحيوان يساق للحرث ، فان عجز فللسلخ ، ثم تجعلون من جلده ربقا لاخوانه وسياطا للمقاومين .

ويطلب أن يكون الوطنى مساويا لجاره ، غير معارض في داره ، يحصد مما يزرع للعيال لا لأهل الاغتيال ،

ويجني مما يغرس للأولاد لا لأهل الفساد . وتلتمسون ان يكون غريبـا فى آله ، مصـادرا بماله ، يطعم من يجيعه ، ويؤمن من يروعه ، ويحفظ من يضيعه ، ويصون من يبيعه .

ويقول : الحرية حياة الأفراد ، والاستقلال حيـاة الجمـع ، فلابد لأفرادنا أن يكونوا احرارا ، ولابد لجمعنـا من الاستقلال . وتقولون الحرية تبطل آمالنا ، والاستقلال يفسد أعمالنا ، فلابد للأفراد ان يكون على رقابهم يد من حـديد ، ولابد للجمع من التفريق والتشريد .

وينظر الى مصلحة الوطن واهله ، وتنظرون الى المنصة والدينار . ويخدم الأمة حبا بالأمة وتخدمون الأجنبي حبا بالمال .

فهذا شأن الحزب الوطني وشأنكم يا أيها المنافقون . فهو الفوز المستقبل وأنتم البهرجة الحاضرة .

وهو مصر بما فيها من فضل وذكاء ، ونباهة وعزم ، وان كره الخائنون .

وهو ما تعلمون وما تنكرون . ولسـوف تعترفون — يوم تكمد الوجوه ، وتضيق الانفاس ، يوم ترفع الامة أصواتهـا وتنشر راياتها ، يوم ينادى منادى الوطن : يا أهل مصر انقذوا مصركم .

ان ذلك اليوم ليوم شديد . ان هذا اليوم ليوم عتيد » .

***

قاد اديب اسحاق معركة النضال القومى ضـد السلطان الجائر والأجنبي الدخيل . وكتب فى ذلك من المقـالات ما ازعجهم وما جعلهم يعملون على ان يكسبوه الى صفوفهم . ولقد سعى اسماعيل الى ذلك ولكن خاب مسعاه . وظل الفتى السورى مخلصا للشعب المصرى ومنذرا اسماعيل بسوء العاقبة .

« فحنانيك يا مولاى .. لا تؤاخذ محبا للانسانية لم يبعها منك بخمسة وعشرين أو بمائتين وخمسـين اشتراكا فى صحيفته .

وبعد فما حاجتك يا مولاى بهذا الصوت الضعيف وقد نفخت الجوائب بين يديك بوقها ، وضربت جرائد مصر فى ناديك طبولهـا . وهى — ومن جعلك ولى نعمتها — أعرف من هذا العاجز باستعطاف الخاطر ، واجتذاب الدرهم ، وتمويه الباطل ، وتشويه الحق .

بل ما حاجتك بالطبول والضـاربين ، والبوقات والنافخين ، والازجال والمادحين — والعربية المستتركة تراها فى جريدة التملق ، والقبطية المستعربة تقراها لصاحب التشدق ، الست القائل : لا اخاف المصريين انهم قطيع من الغنم اهش عليهم بعصا الراعى سوقا الى حيث أشـاء . أو لست الزاعم انهم لا يفهمون خطابا ، ولا يحسنون جوابا ، ولا يعقلون .. فان عقلوا فلا يقولون .. وان قالوا فلا يفعلون .

ام رايتهم يعقلون فخفت منهم القـول ثم سمعتهم قائلين فداخلك الوهن .

أجل .. ولسـوف تراهم فاعلين .. فلا تحسبن امهالهم اهمالا . انهم ينظرونك الى غـد ، وان غدا لناظره قريب » .

***

ولد اديب اسحاق بدمشق عام ١٨٥٦ والتحق منذ الصغر بمدرسة الآباء العازاريين فتعلم فيها العربية والفرنسية . وكان استاذه فى اللغة العربيـة يبشر والده بأن ابنه سيكون اديبا ممتازا فقـد كان اكثر كلامه مسجعا موزونا .

لم يمض اديب إسحاق فى التعليم الى غايته فقد اضطرته ظروف المعاش الى أن يغادر المدرسة وهو فى الحادية عشرة من العمر ، وأن يعمل كاتبا فى الجمرك براتب قدره مائتا قرش . ولم يشغله ذلك عن المضى فى القراءة ، وعن الكتابة فى الصحف والمجلات ، وعن قول الشعر ، وعن ترجمة الجياد من المسرحيات التى مثلت فى كل من القطرين السورى والمصرى .

وحين بلغ من العمر خمسة عشر عاما استقدمه والده الى بيروت ليعمل الى جانبه فى مصلحة البريد براتب افضل . وهنـاك تعرف على جملة من الأدباء ورجال القلم ، وانتهى به المطاف فى النهـاية الى الاشتغال بالصحافة فتولى تحرير جريدة التقدم .

نازعته النفس عنـد ذلك الى السفر الى مصر فجاءها ، كمـا عرفنا من قبل ، واشتغل بالعمل السياسى كما يشتغل كل مخلص لبلاده ووطنه .

ولقد احب أديب اسحاق مصر والمصريين حبا ملك عليه كل جوارحه حتى لقد كان هذا الحب مصدر عجب واستغراب « وقد زعم بعض الناس انك تختص مصر فى سعيك ، وما علموا أن شمول البلاء قـد عم الشرقيين فما يقـال فى فريق منهم ينطبـق على الآخر من اكثر الوجوه ، فان خصصت فقـد حصل التعميم ، وان عممت فان ذلك هو النفع العظيم » .

« ومصر ، ولا حياء فى الحب ، بلد تركت فيـه زهرة أيام الشباب ، وخلفت باكورة غرس الآداب ، وهززت غصن الأمانى رطيبـا ، ولبست ثوب الآمال

( البقية على الصفحة التالية )

# الانسان المعاصر والقيم الروحية

للأستاذ محمد فتحى عثمان

« تروى الاسطورة ان بروميثيوس سرق سر النار من الآلهة ووهبه للجنس البشرى .. وترتب على هذا التحدى ان حصل الانسان على الفهم والعقل وفنون الحضارة كلها . وقد مر على العالم الغربى ثلاثة قرون واكثر وهو مسرح لثورة أصبحت عالميـــة ، وجعلت الفترة الحاضرة تشعر انها حديثة :

فهى برمة بالتراث المنحدر اليها الذى قيل انه لا يقبل الجدل ، معجبة بتفتحها الذهنى وقدراتهـــا ، وواثقة من ان العالم ليس مكانا لعقوبة الانسان وحرمانه وانما هو المادة الخام التى يعمل فيها ذكاؤه وفنه » .

هكذا يصور الأستاذ الدكتور فرانكل

استاذ الفلسفة ورئيس قسمها

بجامعة كولومبيا الطابع الفكرى والنفسى للانســـان المعاصر .. ـــ

وادت الانتصارات الكبرى التى حققتهـــا المنهج التجريبى الى نزوع جامح الى أن تسود ( التجريبية ) كل شىء ، وأن يدخل ( المعمل ) كل شىء .. والا فلا اقتناع ولا قبول !!

وواجهت القيم الروحية لفح البركان الثائر ..

ان القيم الروحية تنزع الى عالم آخر وراء الحس والمحسوس .. قد يكون هو الوجدان والضمير ـ أو ( الملكوت ) الذى فى داخل الانسان ، وقد يكون هو الله الذى يعلم السر وما تخفى الصـــدور .. فهل يتخلى الانسان عن هذا الحديث بعد ان اصبح لغوا غير ذى موضوع فى عصر المادة والحس والتجريب ؟!! ام يعيد ( تكييف ) الموقف ( وصيافة ) قيمه على هدى المنهجية السائدة ؟!

***

ان ثمة جوانب من الثقافة والحضارة الانسانية ، يعتبر جـواب هذا التساؤل اساسيا بالنسبة اليهـا بصفة خاصة ، نظرا لاهمية القيم الروحية فى بنائها وكيانها ، فى موضوعها ومنهجها ..

ومن هذه الجوانب الكبرى للثقافة والحضـــــارة الانسانية التى تلعب القيم الروحية فى بنائها الـدور الخطير : الفن ـ بمفهومه الواسع الشامل ، ودراسة النفس الانسانية ، والاخلاق .

**أما الفن ،** فلطالما كان المجال الأكبر للمثاليـــات والمطلقات .. فكيف يخرج من الحدس والتجريد ، الى القياس والتجريب ؟!!

ان المدرسة الاجتماعية فى علم الجمال ، ترى ان تفسير عمليــــات الابداع الفنى يكون بالرجوع الى المؤثرات الحضارية والتيارات الجمالية السائدة ، مع تأكيد اهمية ( الصنعة ) فى عمل الفنان ، ودور الوعى الجمالى ( للمجتمع ) نفسـه فى توجيه الفنان نحـو نزعة بعينها من النزعات الفنية المعاصرة ، ومن هنـــا لايكون الابداع الفنى خلقا من العـــدم او شرارة من الالهام !! وارتأت الفلسفة الماركسية ان الفن وكل النظم السياسيـــة والثقافيـة انما تقوم على أســـاس من الانتاج المادى وظروفه الســـائدة على انها قد تبقى زمنا بعد تغير ظروف الانتاج اذ قد يتأخر وعى الانسان بالحاضر نتيجة لسيطرة الماضى بتقاليده الموروثة ولو كانت لم يعد لها مبرر من الواقع القائم !!

وظهرت حركة المانيـــة لاقامة ( علم عام للفن ) !! واستهدفت تقديم دراسة بشرية عامة تبرز الوظائف العديدة للفن فى الحضارات المختلفة ، بمـــا فى ذلك الوظائف الدينية والقومية والنفعية والعاطفية . الخ ،

---

تشبيبا ، فما عدلت بى عن حبها النكبة ، ولا أنستنى عهدها الغربة ، ولست اول محب زاده البعد وجدا ، ولم ينكث على العهد صدا . فيا

**رعى الله مصرا والسلام على مصر** **ويا حبذا مصر على الصد والهجر**

فحذار اهل مصر ان العدو لكم بالمرصاد ، وانكم لمحفوفون بالعيون والأرصاد » .

وتوفى اديب اسحاق ببيروت عام ١٨٨٥ ولم يكن قد جاوز الثلاثين من العمر .

فرحم الله اديب اسحاق فلقد كان بالنسبة لمصر والمصريين كالديدبان الماهر الذى يدرك الخطر قبل وقوعه ، وينذر بالعاصفة قبل هبوبها .

دكتور

**محمد احمد خلف الله**

باعتبار ان الفن لا يمثل ظاهرة نوعية مستقلة ، ولا يخرج عن كونه واقعة من وقائع الحضارة او الثقافة بمعناها العام . ومن اعلام هذا الاتجاه

دسوار وأوتيتز (١).

**وفى علم النفس** انتقلت الدراسة من مجال التاملات والأفكار المجردة الى مجال الاستقراء والتجريب ، وجاء ( التحليل النفسى ) يقرر ان فى صميم كل شخص دوافع اساسية تمد وجوده السيكولوجى بالقوة المحركة على مدى الحياة ، وان النفس الانسانية تتميز بحاجة دائمة الى تخفيف التوتر الناجم عن هذه الدوافع والذى يشعر به المرء على هيئة احساسات بالضيق ، وحين يخف هذا التوتر عن طريق النشاط الحركى يشعر المرء باللذة . وهناك تشابه كبير بين فكرة ( فرويد ) فى أن ( الأنا ) تعمل على تخفيف التنبيه داخل الكائن العضوى ونظرية ( كانون ) الفسيولوجية فى استعادة التوازن . والدوافع فى رأى فرويد تمثل ميلا فى المادة الحية الى استرجاع حالة سابقة ، وهو يسلم بأنها كمية من الطاقة متحركة فى اتجاه معين ، فالدوافع اذن مفهوم يقع على الحد الفاصل بين المجال النفسى والفيزيقى : ( فهى الممثل النفسى للمنبهات التى تصدر عن الكائن العضوى وتتغلغل فى النفس ، وهى فى الآن ذاته مقياس للمطالب التى تفرضها على الطاقة النفسية صلة النفس بالبدن )(٢)

**اما الاخلاق** : فلا مجال فيها هى الأخرى لفكرة ( المطلق ) سواء أكان هو ( الواجب ) أم ( الله ) .. فاذا كان مفكرو الاغريق قد ذهبوا الى أن التجربة لاتمد فى معرفة الوجود بأكثر من الرجحان الممكن فنتائجها جزئية لا كلية ، بيما الحقائق هى التى يبرهن عليها العقل برهانا كاملا ، ومن ثم نشأ لديهم التمييز بين الحقائق العقلية والوجودية ، فان الثورة العملية فى القرن السابع عشر قد احدثت تعديلا كبيرا ، فقد طبق العلم بمعونة الرياضيات نظام المعرفة البرهانية على المسائل الطبيعية التى كان لها فى النظام القديم من صفة الثبات ما جعلها تتعلق بالصور العقلية المثالية وانقلبت المنافسة بين الفلسفة بين القيم الروحية التى تضمنها التراث الفلسفى القديم وبين نتائج المعرفة العلمية . ويرى ( ديوى ) فى « بحثه عن اليقين » ان المعرفة بحسب طرائق البحث العلمية الحاضرة قد هجرت الفصل بين المعرفة والعمل ، وان وظيفة الفلسفة الآن هى تيسير التفاعل المثمر بين معتقداتنا العقلية القائمة على أكثر طرق البحث سلامة وبين معتقداتنا العملية عن القيم والأهداف والغايات التى ينبغى ان تضبط سلوك الانسان فى الأمور التى لها شأن انسانى واسع حر ، ولو ان الناس ربطوا أفكارهم عن القيم بالنشاط العملى بدلا من ربطها بمعرفة ( الوجود ) السابق ما اضطربوا بازاء كشوف العلم بل لرحبوا بها لان اى شىء مؤكد من بناء الظروف الموجودة حاليا سيكون معينا دون شك على ابداء الرأى فى الامور التى نعزها ونسعى الى تكميلها وسيرشدنا الى الوسائل التى نستخدمها لتحقيقها ، وهذا هو المعنى الهام لنقل المنهج التجريبى من الميدان الفنى للخبرة الطبيعية الى الميدان الاوسع للحياة الانسانية ، حتى نثق فيه فى الامور الاخلاقية والسياسية والاقتصادية ثقتنا فيه التى لا تتصل بالحياة الانسانية . وهكذا يكون العمل هو الوسيلة الوحيدة للحكم على شىء بانه شريف او ممدوح او مستحسن ، وعلى هذا يتعدل اثر ( الاخلاق ) كلها . (١)

***

« ويقال الآن : ان النكبات التى وقعت فى التاريخ الحديث قد اظهرت أن العقل البشرى فريسة لقوى اكثر غموضا او لاسرار ابعد غورا ، وان التاريخ يتبع نهجا ليس باستطاعة بنى الانسان ادراكه او السيطرة عليه .. وعند هؤلاء ان بروميثيوس قد غرر بنا عندما اعطانا هذا الشىء من العقل ، ولم يكن من المحسنين »!(٢)

وهكذا اخذت الجوانب التى تتعامل مع القيم الروحية من ثقافة الانسان تتمرد على قوالب المنهجية التى تصاغ من المادة والحس والتجريب ..

فاذا كان الفنان ليس مجرد اداة فى يد قوة عليا لا شعورية ، فردية او جمعية ، الا ان الابداع الفنى تتداخل فيه عناصر شعورية ولا شعورية ، وهو يشبه بوجه عام عملية الولادة بما يستلزمه من تلقيح وحمل وحضانة ، ولابد ان يكون للتلقائية الفردية نصيب فى الابداع الفنى — كما يقول دى لاكروا ولا يكفى أن يتمتع

---

(١) دكتور زكريا ابراهيم : مشكلة الفن ، دكتور غنيمى هلال : الأدب المقارن ، المدخل الى النقد الأدبى الحديث .

(٢) شول شيدلنجر : التحليل النفسى والسلوك الجماعى — ترجمة دكتور سامى محمود على .

(١) ديوى : البحث عن اليقين — ترجمة دكتور احمد فؤاد الاهوانى .

(٢) فرانكل : ازمة الانسان الحديث — ترجمة دكتور نقولا زيادة .

الانسان بالذكاء والذاكرة والخيال لكي يصبح فنانا !! ويرى البعض أن العمل الفنى لا يكون ترجمة ذاتية لصاحبه ، بل هو بلورة لحياة الفنان وليس مجرد امتداد لها !! والماركسية نفسها ترى ان النظم السياسية والثقافية وان كانت تتكون نتيجة للبنية الدنيا من النظام الاقتصادى أو ظروف الانتاج المادى ، الا انها تصير بعد ذلك قوة من القوى الاجتماعية التى لها بدورها تأثيرها المستقل فى الحياة الاجتماعية « فالنظرية تصبح قوة مادية حين تنفذ فى الجماهير » « ومن المعلوم ان عصورا معينة ليس لازدهار الفن فيها علاقة ما بالنمو العام للمجتمع ، وبالتالى لا علاقة لهذا الازدهار بالاساس المادى وباساس البنية فى النظام الاجتماعى » ويسوق ماركس وانجلز أمثلة على ذلك : الاغريق فى مقارنتهم بالامم الحديثة ، ثم شكسبير !! وفى حدود الواقعية المحايدة يجب أن يتوافر للفنان من الحرية ما يعد اعماله الفنية غايات فى ذاتها ، لانها تخدم مثاله الذى يحيا له ، ولا يعدها مجرد وسائل للحياة !

اما محاولة اقامة علم عام للفن ، على اعتبار ان الجمال ليس مجرد حالة نفسية فردية بل هو واقعة تاريخية ، فانها تتعثر فى التطبيق .. فعلى أى اساس يمكن تحديد المثل الاعلى فى الفن او الجمال لمجتمع ما فى عصر من العصور ؟! انها محاولة عسيرة بالنسبة لمجتمعاتنا المعاصرة ، فكيف تكون عند الغوص فى ركام من الوثائق والنصوص والروايات ؟ والربط بين الجمال والاحصاء بدعوى ان ما يكشف بوضوح عن الذوق الفنى لاية حقبة تاريخية انما هو ما يجمع الرأى العام على اعتباره جميلا ، يراه ريموند باير استعاضة عن القيم ببورصة القيمة ، واحلالا للذاتية الجماعية للأذواق محل العمل الفنى !! (١)

*وبالنسبة لمجالات **الدراسات النفسية** يحدثنا لى سين عن النتائج التى احرزتها المنهجية الحديثة فيها بما يلى : « اما النتائج التى حصلت عليها العلوم الوضعية للانسان فيمكن ان نلخصها دون ان نظلمها بقولنا : ان معرفة الانسان كانت تكتسب الصبغة العلمية على قدر هبوطها الى قطاعات من الحياة الانسانية ترتد فيها الانسانية الى الحيوانية ، وانها كانت تفقد هذه الصفة العلمية على قدر صعودها ونفاذها الى الصميم المعقد والى الاصالة من النفس الانسانية !! » ويمكن اعتبار فلسفة برجسون أقوى رد على الاتجاه الوضعى الطبيعى فى معرفة الانسان اذا فرق بين الروح والمادة واظهر عجز التصورات العلمية عن ادراك الروح ، وقصر معرفة الروح على الحدس الذى يعانق الحركة ويتم بتعاطف مع الديمومة . ويقول لى سين : ان المفتاح الذى نحل به هذا الصراع المنهجى هو تجربتنا لانفسنا فان الانسان يدرك بطريقتين : تبعا لكونه يعرف نفسه من داخل أو يعرفه غيره من خارج ، فحين يدرك الانسان نفسه من داخل يراها ذاتا لاتنقسم منها تنبع الافكار والعواطف والاعمال ، وحين يدركه غيره من خارج يراه مجموعة من التعيينات والعلاقات ـ أى يراه سلوكا يخضع لقوانين ويمكن قياسه ! !

ومن هنا ارتأى علم الطباع الذى يبحث مجموعة الاستعدادات الفطرية التى تؤلف الهيكل النفسى للانسان ، ان يصطنع منهجا ذا ثلاث مراحل : الاستقراء الطباعى ، فالحدث الطباعى ، فمحاولة فهم الطبع والتحقق من الحدس بالمشاركة مع ماهو حى حتى ينقلب الحدس الى تعاطف جدلى . ذلك ان تقاطع الانسان الصميمى النفسى مع الانسان الظاهر الحسى الحركى هو الطبع ، ولما كانت المعرفتان الموضوعية والحدسية معرفة واحدة ذات وجهين فانه يمكن الانتقال من الملاحظة الخارجية الى الحدس ومن الحدس الى التجليات العقلية والعملية . (٢)

واستهدفت الفنومنولوجية ان تنقل علم النفس من مستوى الوقائع الجامدة الى مستوى الظواهر ذات المعنى ، فقرر هو سرل ضرورة قيام علم نفس فنومنولوجى مستقل عن علم النفس التجريبى موضوعه ماهيات الاحداث النفسية ، وغايته توضيح معناها واستخلاص دلالتها بالنسبة للشعور الخالص ، بل انه مضى الى حد القول بتبعية علم النفس التجريبى وخضوعه بالضرورة للفنومنولوجية . واخرج سارتر نظرية فى الانفعالات على اساس هذا المنهج . وقد حدث فى تاريخ علم النفس ما يعزز قيامه على فكرة حدس الماهية دون ان يفقد استقلاله ازاء الفنومنولوجية ، فظهرت مدرسة الجشطلت التى طبقت المنهج الفنومنولوجى على دراسة الحركة الظاهرية من حيث هى موضوع الخبرة الشعورية المباشرة وكشفت عن ان الظواهر الحسية تنتظم من تلقاء ذاتها فى (كل) له معنى ، وفى مجال الطب النفسى خلق هذا المنهج نظرية جديدة فى فهم الظواهر المرضية والعقلى

(١) دكتور زكريا ابراهيم : مشكلة الفن ، دكتور غنيمى هلال : الأدب المقارن ، المدخل الى النقد الأدبى الحديث

(٢) دكتور سامى الدرومى : علم الطباع ( المدرسة الفرنسية ) .

# لمحات من قضايا الناس

للأستاذ أنور حجازى

ما أيسر اعمال النص القانونى وتطبيقه على الواقعة المطروحة على المحكمة ، ثم انزال العقاب بالآثم جزاء ما اقترف ، ذلك لأن النص القانونى محدد اللفظ ، واضح المعنى ، مفهوم القصد والغاية ، والعقوبة فى حدودها المرسومة ، حد ادنى وحد اقصى وما قد يصحبها من عقوبات تبعية أو تكميلية حسب مقتضى الحال .

فاذا انطبق النص القانونى على واقعات الدعوى المطروحة وما انطوت عليه من جرم أو جرائم ، وجب انزال العقوبة المناسبة بالآثم فى حكم ينطق به علنا ، هذا ان توافرت الدلائل على ادانة المتهم ، اما ان عجزت او قصرت عن حد الكفاية التى تلزم لانزال العقاب ، تعين على القاضى مؤمنا مطمئنا ان يقضى ببراءة المتهم .

وتقدير العقوبة المناسبة لا تتأتى الا لمن وهب حسن التقدير المستجلب من الذوق القضائى السليم ، وحسن التقدير والذوق القضائى السليم أولى أمارات الوعى والحس القضائى لدى كل قاض ، تسمو

---

منها بخاصة ـ باعتبارها خبرة شعورية اصيلة ، وتعديلا جوهريا يطرأ على وجود الانسان فى العالم ، ووضح هذا عند هيدجر . كما كان للمنهج الفنومنولوجى اثره فى التحليل النفسى ، وهناك اتجاه عام الى تناول مسائل التحليل النفسى من زاوية « سيكلوجية الانا »

اى من حيث علاقة الانا بالموضوعات فى مختلف الامراض النفسية والعقلية . «وهكذا قامت الفلسفة الفنومنولوجية بدور كل فلسفة خصبة ، لم تستنفد جهدها فى معارضة العلم باسم الاعتقاد ولم تستغرق طاقتها فى تالية العلم والخضوع له خضوع العبد للسيد ؛ بل حاولت التغلغل فى عمق وبصيرة الى مصدر العلم ومصدر الوجود الانسانى جميعا ، وحفزت المشتغلين بالعلم على اكتشاف اللامتناهى بتعمق المتناهى ـ كما يقول جونه » (١) .

**والاخلاق** .. هل يقنع الانسان فيها بحساب القيمة على الطريقة « البراجماتية » النفعية كما أوضحها ديوى ؟؟ وهل يحقق له ذلك الاكتفاء والامتلاء ؟؟

« ان كل كائن حى لابد له من أن يتحرك صوب اكتماله الخاص ، فكمال الحياة هو هدف الحياة ، والحافز الى الاكتمال هو اقوى محرك ملزم فيها . والاكتمال فى علم النفس هو تحقق الذات ، وكما تكره الطبيعة كل فراغ فان الكائن الحى يكره عدم الاكتمال كذلك . ونحن نجد السعى الى الاكتمال والاحساس بعدم الاكتمال ظاهرين بشكل واضح فى الدين ، والذات المنتظمة يمكن ان تعرف بأنها تنظيم لجميع العواطف والاتجاهات المستساغة .. والارادة هى الذات المنتظمة عملة ، وهى الذات متحركة . . والمنبه المناسب للارادة الذى تصلح لاثارة الذات بصفة خاصة الى النشاط هو المثل الاعلى ، أى هو الفكرة او الشىء الذى يؤدى الى التحقق الكامل للفرد كله ... والمثل الاعلى الصائب من الناحية السيكلوجية هو المثل الذى يستطيع جلب التوافق النفسى باجتذاب الانفعالات الغريزية جميعا ، وهو الذى يستطيع باستثارة الارادة ان يصب الفرد باعتباره وحدة سيكلوجية فى قالب كائن حى ، وهو الذى يضمن تحقق الذات والسعادة وذلك باشباع السعى الى الاكتمال (٢) ..

وهكذا بقى .. الفراغ

او ـ على الأقل ـ بقى الشعور بالفراغ .. !

وما زال الانسان يتحرق لوسيلة يملأ بها خواء الروح ، دون ان تنال من العقل الرشيد ..

والى اللقاء مع الانسان المعاصر فى ازمته الكبرى .. فى مقال تال

**( فتحى عثمان )**

(١) تقديم الدكتور سامى محمود على لترجمة نظرية فى الانفعالات لسارتر .

(٢) هارفيلد : علم النفس والاخلاق ـ ترجمة دكتور أبو العزم .

وتكامل عناصرها وتتهيأ لديه على نحو طيب قويم بالتجربة والمران والاطلاع المتتابع الوفير الذى يعيش فيه وفاء منه لاقضيته ولحقوق الناس .

ولا يبلغ القاضى بذلك ذروة المثالية والكمال فى قضائه ، بل ان عليه ــ فضلا عن ذلك ــ أن يمارس قضاءه هاديا وموجها ومرشدا ، يتقصى سبيل الحق اول ما يتقصى ، ثم سبل الخير والأمان والصون والحفاظ وحسن التبصير وتهيئة السبيل للتوبة والهداية والتكفير .

وفى نطاق المعنى الأخير نتمثل ببعض الاقضية التى طرحت على القضاء ، لانه بذكرها وذكر الحكم الذى صدر فيها يتضح المعنى ويبين الهدف ويعرف المدى والمدلول ، كما تعرف الغاية التى يهدف اليها القضاء من مثل هذه الأحكام .

وعلى القاضى لكى يصدر حكمه سليما مبرءا ان يستقصى ظروف كل متهم والملابسات التى احاطت به والدافع الى اقتراف الجرم ، وليس حتما ولزاما ان تكون تلك الظروف وهذه الملابسات والدوافع الى اقتراف الجرم من مبررات الرحمة والاشفاق ، بل قد تكون على النقيض موجبة للشدة وانزال اقصى العقاب .

والحديث عن ذلك والاستشهاد ببعض الاقضية سيكون موضع بحث لاحق .

اما تلك التى نحن بصددها والتى يمارس فيها القاضى قضاءه هاديا موجها مرشدا يبتغى تهيئة السبيل للتوبة والهداية والتكفير ، فتورد منها بعض ما يتسع له المقام ايضاحا وتبصيرا : ــ

**القضية الأولى** : اربعة من طلاب العلم فى مرحلته الوسطى ، غلمان فيما بين السادسة عشرة والسابعة عشرة ، جمع بينهم الجوار وتقارب الوسط والبيئة والظروف المعيشية حتى ولدت بينهم توددا وترابطا ملحوظين الفهما الناس وصارا عنوانا لصداقتهم المتسمة بالصبيانية البريئة الوادعة .

أولهم ابن موظف كبير ، والثانى ابن تاجر ميسور الحال ، وثالثهم يتيم ترك له ابوه مالا ينفق منه ، اما رابعهم فقد نزح من الريف ليواصل الدرس والتحصيل فى كنف عمه المهندس المعمارى الكبير .

وكان من مقتضى تلك الألفة فيما بينهم أن كانوا يتبادلون الراى فيما يعن لاحدهم ، وكانوا متقاربين فى الفهم والوعى للأمور العامة والاجتماعية والنظرة المحدودة لكل ما يحيط بهم .

وقد استرعى نظرهم طالب معوج يكبرهم سنا فى السنة الثالثة الثانوية ويبلغ الحادية والعشرين من عمره ، واشتهر بكثرة ما تخلف عن زملائه ، كانوا يرمقونه بنظرات فيها اشفاق تارة وفيها سخرية تارة اخرى ، حتى اذا اقترب يوما من جمعهم استطاع ان يوثق فيما بينه وبينهم بعبارات جذابة وابتسامة هادئة تشعرهم بمدى الفارق بينه وبينهم عمرا وسلوكا واستمتاعا بمباهج الحياة ، كان يتحدث اليهم وهو ينفث الدخان من سيجارة مشتعلة بأسلوب الكبار المدمنين ، كما كان يعبث بيده فى قطع فضية تزاحمت فى جيبه مسترسلا فى حديث مشوق عن لياليه التى يقضيها فى المنتديات الليلية الصاخبة ودور اللهو والعبث ، فلما سألوه عن وسيلته فى الحصول على كل ما يلزم لذلك من نقود ، اشاح بيده بما يعنى ان ذلك ميسور له ، وانه قادر على أن يحصل على كل ما يريد ، وعندئذ انتهى وقت راحة الظهيرة ونبههم ناقوس المدرسة فانطلق كل الى فصله الدراسى ، وراح التلاميذ جميعهم يتابعون الدرس والتحصيل عدا هؤلاء الاربعة الذين سرحوا فى خيالات مضطربة تلح عليهم فى وجوب توثيق علاقاتهم بهذا الفتى الرجل الذى توفرت لديه اسباب المتعة والانطلاق بلا حدود .

واصبح الغلمان الاربعة وهم على عزم ان يعاودوا الاتصال بالفتى الرجل الذى بهرهم باسلوبه وسلوكه فى الاستمتاع بمباهج الحياة .

واستجاب الفتى لدعوة الغلمان وجالسهم واطال فى الحديث عن اسباب الرجولة التى تكاملت له بالتدخين وارتياد المسارح ودور اللهو وتعدد اللقاء فيما بينهم ثم فاجاهم يوما بأن سألهم عما يبتغون ، فقالوا انما نريد ان نحصل على نقود لنحيا كما تحيا ، فاجابهم بان الأمر يتوقف على جرأتهم ومدى استعدادهم

وعندئذ اشتد اصغاؤهم له وبعد جدل انتهى آخر الأمر بأن اعطاهم عناوين وأسماء بعض الفتيات والفتيات ليقتحموا عليهم دورهم ويسلبونهم بعض مالهم الوفير لينفقوه فيما يحلو لهم من متع الحياة.

واصبح الاربعة على استنكار لهذا الذى يدعوهم اليه ، وقال الثانى فى مجموعتهم أن لدى والده مبلغا من المال يخفيه فى المنزل ، ويستطيع ان يحصل على جزء كبير منه لتحقيق مآربهم دون التعرض لمثل هذا التصرف المشين .

ولكن هذا الثانى عاد اليهم فى اليوم التالى ليخبرهم

بأن والده نقل النقود الى البنك وصار عصيا عليه ان يمدهم بالمال المطلوب .

فغضب احدهم وحزن الآخر وضاق صدر ثالثهم، وتبادلوا الرأى فيما بينهم وانتهوا الى اسوأ قرار ، وهو العودة الى الشيطان قرين السوء واستجلاب عطفه ومرحمته والالحاح عليه فى ان يمدهم بالنصح والتوجيه ليحصلوا على المال المطلوب ، والذى رأوا وجوب تدبيره فى كثرة حتى يكفى لما عزموا عليه وهو الرحيل الى خارج القطر فى سياحة تقتضى تكليفا ومبالغ طائلة لا تقوى عليها طاقتهم المحدودة ، طاقتهم المجردة من عون ذويهم ، وارتأوا فى هذا الرحيل تحقيق كل ما يشتهون .

ورسم لهم الشيطان طريق الغواية والفساد ، واختار لهم احدى الفتاتات التى تعيش وحدها ليدهمها اربعتهم ثم يسرقون مالها كرها وغصبا بعد تحيل وادعاء .

واستمع الفتية بلا وعى الى تضليل الآثم المحرض الذى زين لهم الامر وصوره فى صورة سهلة ميسورة

وانتقل الفتية الى دار المجنى عليها الراقصة الشهيرة ، بقى احدهم فى نهاية سلم الدار ، وصعد الثلاثة الى سكناها وقرعوا الباب الذى فتحته لهم بنفسها ودعتهم الى مجلسها ، ثم استمهلتهم حتى تقدم لهم شرابا مثلوجا ، وذلك بعد ان زعموا لها ان اخا لواحد منهم سيزف الى عروسه بعد ايام قليلة وان الأسرة اختارتها لاحياء الحفل ، واوفدتهم للمفاوضة معها تمهيدا للتعاقد النهائى الذى سيتم بمعرفة كبير من ذويهم .

وعندئذ استيقظت احاسيس الغلمان الذين هالهم ان يتورطوا فى بغى وعدوان ينالون بهما من سيدة عزلاء اكرمت وفادتهم ودعتهم الى شراب فى رقة وادب بالغين ، وتشاور ثلاثتهم فى وجوب العدول عن هذا المنكر البغيض ولكن احدهم ذكرهم بالمحرض الآثم كبيرهم الذى علمهم وأرشدهم ونزع امارات الانسانية من قلوبهم ، ذكرهم بأنه ينتظرهم بعيدا فى داره وانه سيناقشهم الحساب وسيتحقق له بيقين — ان تقاعسوا — انهم غلمان لم يبلغوا بعد مراتب الرجال.

وكأنما فعل القول فى نفوسهم فعل السحر ، فاستقبلوا فريستهم التى تحمل اليهم اكواب الشراب استقبالا جردهم من بعض معانى الانسانية ، أمسكها احدهم وكم فاها ثانيهم والقى ثالثهم بزجاجة تحوى مادة كاوية « ماء نار » عند اقدامها ، ولكن كما قالت المجنى عليها انهم سواء عند الامساك بها او كم فاها او القاء المادة الكاوية كانت ترتعد فرائصهم جزعا واضطرابا ، حتى ان الصرخة الاولى جعلتهم يفرون فى هلع يتدافعون الواحد تلو الآخر وهم ينزلون سلم البيت ، والتقى بهم صبى يعمل فى مسكن مجاور كان قد سمع صرخة استغاثة تبعها نزول الغلمان يعدون متسابقين ، فامسك بتلابيبهم وقبض عليهم دون عناء ، وعرض امرهم على اولى الامر وتولت النيابة العامة التحقيق فاعترفوا جميعهم بانهم اقترفوا وزرا مقيتا ، واتوا امرا ادا ، وانهم نادمون على ما فعلوا وقدموا الى المجنى عليها اعتذارا واستغفارا وقالوا انهم كانوا فريسة لمن تجردت نفسه من خشية الله الذى اغراهم بذهبه وما زعمه من متعة وجاه وقدرة على ممارسة كل ما يحلو له ، واسترسل الفتيان فى اعترافهم بأن بعض ما يعرض على الشاشة من قصص تحكى روايات خيالية ساعدهم على اتيان هذا الجرم

وانتهى التحقيق ، وطرحت الواقعة على القضاء ليقول كلمته فيها ، وقد قالها بعد ان اسهب فى ايضاح موقف الطلاب المتهمين وظروفهم والملابسات التى احاطت بهم والعوامل التى جعلتهم يقترفون هذا الاثم المؤثم الخطير ، قال القضاء كلمته فى هذا النطاق وفى حدود هذا المعنى .

« اتفق المتهمون فيما بينهم على اتيان هذا الجرم، ومنهم من بلغ السادسة عشرة ، ومنهم من يزيد عليها قليلا ، صبية فى دور التنشئة والاعداد والتكوين ، لم يبلغوا مراتب الوعى والادراك السليم ، تسلط عليهم واستغل فيهم سذاجة الغلمان قرين سوء ، زين لهم اقتراف الاثم وهون من امر اتيانه ، وتعاون مع قرين السوء فى تزيين الجريمة وتهيئة اسبابها ، عامل آخر هو ما تعرضه الشاشة احيانا من قصص تحكى بطولات خيالية فى عالم الجريمة وعالم الشر ، وان كانت تنتهى دائما باسوأ مصير يحيق بالآثمين ، الا ان المتهمين انتقوا بتلك القصص فى شطرها المثير الحافل ببطولات زائفة نسجها الخيال ، وغفلوا عن العقاب وما صار اليه الآثمون .

وهكذا تردى المتهمون فى خطيئة كبرى غارقين فى اوهام المراهقة وخيالات الصبية المضللين واقترفوا جريمة شروع فى سرقة بالاكراه ، تكاملت عناصرها فى حقهم على النحو الذى رسمه القانون ، حتى اذا جىء بهم الى التحقيق اعترفوا بما قدمت ايديهم

نادمين تائبين مقدمين العذر للسيدة المجنى عليهـا طالبين غفرانها وغفران المجتمع الحريص اشدالحرص على النأى بالناشئين عن هذا المجال الخطير ، وهم الذين لم يعرفوا الجرم المقيت الا على هـذا النحو الطارىء الموقوت ، ومن خلال أفكار مؤثمة سوداء لدخيل لوثته ادران الحياة ، ذلك الدخيل الذى نأى بنفسه عن مسرح الجريمة ، فلم تنفع فى شان اتهامه اقوال مريبة لفئة مؤثمة لا وزن لقولها فى مجال الصاق التهمة ومحاولة تحميـل الغير عبء الاتهـام او المشاطرة فيه .

ان المجتمع لا يرضى ان يأخذ مثل هؤلاء على النحو الذى يأخذ به مدركا فاهما واعيا أتى الجرم طواعية واختيارا غير مدفوع اليه او موجه لاتيانه .

هؤلاء الصبية الذين سلخوا فى مجال المعرفة قدرا طيبا مذكورا ، وبعد أن تعرضوا لامتحان عسير من قبض وتحقيق ومحاكمات ، وعرفوا من خلال ذلك جميعا فداحة الوزر وكنه الجرم وخطورته وسوء العاقبة وخيبة المصير .

ارتأت المحكمة فى كل ذلك ما يبرر استعمال الرأفة مع هؤلاء المتهمين بايقاف تنفيذ عقوبة العـام التى قضت بها عليهم لتباعد بين هذا النشء وغياهب السجون ابقاء على مصائر صغار سلكوا فى كل حياتهم سبل الهداية والرشاد فان تعثروا عفوا فان اقالتهم من عثرتهم عدل وانصاف .

**القضية الثانية :** وان اتصلت بناشىء صغير كذلك وطالب علم فى مرحلته المتوسطة ، الا انها تختلف عن السابقة فى ظروفها وملابساتها ومسرحها .

ومسرح الجريمة المعهد الدراسى ذاته فى مدينة من مدن شمال الوادى ، حينما كنت قاضيا انظر فى قضايا الناس ، وحين فاجأتنى احدى القضايا التى يندر طرحها فى ساحة القضاء .

اذهلتنى المفاجأة واحتـل الالم كثيرا من جوانب ذاتى لما رأيت المتهم تلميذا فى السادسة عشرة والمجنى عليه أستاذه ومربيه . « جرحه بمدية صغيرة فى مشادة طارئة » .

اشفقت على ميراثنا التليد فى مجال التبجيل والتوقير للمربين ، ورأيت أن انظر الدعوى فى حجرة المداولة حفاظا على تقاليدنا وسـترا لهذا الخدش الذى مس اعتبارا ساميا فى مألوفنا ومجتمعنا الشرقى العريق « .. كاد المعلم ان يكون رسولا »

اثارنى هذا الحـدث وحز فى نفسى أن يعصف الناشئون بأقدس مقومات الادب والطاعة ، لأن المعلم رسول التربية والعرفان وتهذيب النفوس ، يقـوم على تربية الروح والسمو بها فى مدارك الكمال الثقافى والخلقى والتوجيهى ، فمن أساء اليه أثم اثما عظيما

دعوت التلميذ المتهم فجاءنى على استحياء ، يخفض بصره حتى لا يواجه خطيئته المنكرة ، طلبت اليـه ايضاحا لاثمه فأمسك عن القول ، اعدت السؤال بعد ان صغته درسا فى معنى الأدب واللياقة وتبجيل المربين

فأجاب هذه المرة ، ولكنه اجاب فى بكاء مر سخين ، نادما حزينا ، الحف فى الرجاء كما الحف محاميه ان تغفر له المحكمة هذه المعصية وهذه الزلة الكبرى .

وكنت قد ارسلت فى طلب الأستاذ المربى الذى نأى بنفسه بعيدا عن مجال المحاكمة ، بعيدا عن موقف ان ذكر فيه الحقيقة استعاد صدى المأساة بعـد ان سترته الأيام واخفته فى طيات النسيان ، ثم جاء المربى على استحياء كذلك واشهدته بعد قسم ، فروى انه تولى رعاية التلميذ صغيرا ونشأه تنشئة صالحة حتى ابان عن نبوغ وفطنة تقدم بهما التلاميذ جميعا ، وكان على قمة المتفوقين فى نهاية كل عام دراسى ، واسترسل فى سرد الواقعة كسيفا حزينا ، وبلغ ذروة الاسى فى نبرات صوته حين ردد قائلا بأنه يأسف اشد الاسف اذ يرى تلميذه النابغ المرموق مبعدا عن مجاله الدراسى جزاء ما قدمت يداه ، واتجه ببصره ساهما الى التلميذ الغارق فى بكائه ، الغارق فى ندمه .

وكانت مفاجأة حين تقدم الأستاذ يطلب من المحكمة الغفران لتلميـذه لأنه قد غفر له ، فاندفع التلميـذ بلا وعى نحو استاذه يقبل يديه نادما شاكرا

فاكبرت فى الاستاذ صفحه ، واكبرت فيه قلبـه الكبير الرحيم ، واحتل من نفسى مكانا عليا حين قطع على نفسه وعدا أن يسعى لدى المسئولين لالغاء عقوبة الفصل واعادة التلميذ الى معهده لمواصلة الدرس والتحصيل .

فانهيت نظر الدعوى وخلوت الى نفسى ، وسرت فى موكب الغفران ، وغفرت للتلميذ ، وانزلت به عقوبة مالية يسيرة واوقفت تنفيذها ، فخرجا من ساحة العدالة ، المربى وتلميـذه ، اخ كبير يحنو على اخ صغير تعثر ، فأقاله من عثرته ليواصل كفاحا بداه فى سبيل المعرفة .

**أنور حجازى**

# عبد الوهاب عزام

للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

وقد أشار الأستاذ مصطفى السقا الى بحوث أخرى متتابعة فى أدوار انعقاد مؤتمر المجمع اللغوى، ابتداء من الدورة الثانية والعشرين الى دور الانعقاد فى سنة ١٩٥٩ ، وكان موضوع بحثه فيه عن الشعر النجدى المعروف بالشعر النبطى فى جزيرة العرب .

ومن أبحاث الدكتور عزام :

* التصوف فى الشعر الاسلامى ( صحيفة الجامعة المصرية ) يناير وأبريل سنة ١٩٣٣ .
* أوزان الشعر الفارسى ( نشر بمجلة كلية الآداب ) ١٩٣٣ .
* نظرات فى سنن المسلمين فى كتابة التاريخ ( نشر بمجلة جامعة الرياض ) .

ومن جهود الدكتور عبد الوهاب عزام فى ميدان النشر :

١ ـ الشاهنامة التى نقلها الى العربية ، البندارى سنة ١٩٣٢ .
٢ ـ ديوان المتنبى ١٩٤٤ .
٣ ـ مجالس السلطان الغورى ١٩٤١ .
٤ ـ كليلة ودمنة ١٩٤١ .
٥ ـ رسائل الصاحب بن عباد بالاشتراك مع الدكتور شوقى ضيف ١٩٤٧ .

***

وصاحب هذه الجهود الموصولة المرموقة كان يأبى عليه تواضعه الا أن ينتظمه وهو الوزير والسفير والعميد والأديب ، وما أكثر ألقابه وصفاته، صف واحد فى الصلاة مع خدم السفارة وتغتبط نفسه الصافية بهذه البساطة ويتعمق مظهرها ( وجاوزت هذا الظاهر الجميل المتناسق الى ما هو أعظم ، الى التناسق الباطن فى الفكر والروح ، والخلوص من الصور المختلفة ، والجزئيات المتعددة الى المعنى الذى لا يحده زمان ولا مكان ، ولا يختلف فيه فكر ولا قلب ، اتصال هذه الأرواح بالله الواحد ، وانتظامها بالقوانين الشاملة المتنزلة من الله الواحد ، لينظم الصور المتفرقة معنى واحد ، وتجمع الوجهات المختلفة وجهة واحدة ) (١) .

وقد عبر عن هذا المعنى شعرا :

| | |
|---|---|
| حين قمنا للصلاة | قد تساوينا جميعا |
| فاستوت منا الجباة | وركعنا وسجدنا |
| عمنا شرع الاله | انما نحن سواء |
| وحقوق فى الحياة | جمعتنا واجبات |
| ش ما فينا اشتباه | غير انا فى فنون العيـ |
| وأخى جد ولاه | من ذكى وعبى |
| آمر فينا وناه | ذاك مأمور وهذا |
| حارس يرعى حماه | ذاك محروس وهذا |
| خادم يبغى رضاه | ذاك مخدوم وهذا |
| ـادم مخدوم سواه | واذا حققت فالخـ |
| قيل مولى وفتاه (١) | كلهم مولى ولان |

لقد كنت محتشدة للكتابة عن رجلنا عبد الوهاب عزام والترجمة لحياته ترجمة كاملة متوسعة تتعمق مواقفه من الثقافات المختلفة وتأثره بها وتأثيره فيها وأثر دراساته فى الأدب العربى..فى أدبه هو..فى صوره...والفاظه ترجمة تقف وقفة متأنية عند أسلوبه فى نثره وشعره وفى تقاريره سفيرا مما تحفظه وزارة الخارجية ترجمة تتعرف قصته مع اقبال شاعر باكستان . لولا أن بشرى صدور الرسالة زفت الى فى وقت لا يفى بهذا كله . فلأكتف بهذه اللمحات من حياته ولأختم حديثى عنه هذه المرة بالكشف عن ناحية انسانية طريفة وما أكثر انسانياته .. سأتحدث عنه أبا كانت كتاباته الى أولاده نموذجا

رفيعا من الأبوة أو طرازا رفيعا من الرسائل .

كتب الى ابنته ( مى ) وهو سفير بالباكستان :

بنيتى مى ...

السلام عليك وعلى الأولاد والأسرة كلها ..

جاءت رسالتك التى فيها التلبية والدعاء والله يتقبل . وجاءت رسالة أخرى فى حاشية رسالة الوالدة . فلك شكر آخر .

واكتفى اليوم بأبيات كتبتها جوابا للتلبية .

لبيك يا ميـة اذ لبيت
أسمعتنى يا مى اذ ناديت
الى ضفاف السند قد أسريت
سمعت فى اليقظة والمنام

***

يا أم طارق حماك الله
والله رب طارق يرعاه
يحفظ مبلغا مناه
يصحبه السعد على الأيام

***

لبيك أم حاتم ووائل
يرعاهما الرحمن للفضائل
يرعاهما فى أحسن الشمائل
للبر والخير ، مدى الأعوام

***

يا أم رضوى سعدت أيامك
وتم فى رضوى غدا مرامك
وتم بالسعد عليك عامك
ودمت فى سعد لكل عام
امضاء

والسلام الى أن أكتب مرة أخرى .

وكتب الى مى مرة أخرى :

عزيزتى مى ...

سلام الله عليك وكل عام وأنت بخير ..

جاء كتابك عيدا يذكر بالأعياد ، ويحيى الذكريات وأقول ما قاله شاعر فارسى فترجمته الى العربية :

للناس عيد يجىء يوما
بكل عام ولا يزيد
وأنت عيدى كل يوم
أراك فيه لدى عيد

ومن كتاب له لمى :

سلام لمية ملء الحنان
وملء القصيد وملء الخطب
سلام لمية تهدى الرياح
شذاه الى من نأى أو قرب
تعطره نفحات الحجاز
بعطر الدعاء وعرف القرب

وحج أول حجة سنة ١٩٣٨ وكان يدعو : ( يارب نسنى هالة واعطنى هالة ) وهالة التى يريد أن ينسى ذكرها هى ابنته السابعة فلم يعقب الدكتور عزام ذكرا . وفيها نظم هذه الأبيات :

أرى الوقت قد حان فى ساعتى
فهاتى لى المشط يا هالتى
أمشط شعرك رفقا ولينا
أزين بالتاج هذا الجبينا
وأنشد للمشط حلو النشيد
كأن بشعرك أوتار عود
ويعبث بالشعر هذا الهواء
فيسرى طروبا بهذا الغناء
صنعت لحسنك ثوبا جميلا
يدى أحسنت فيه عرضا وطولا
أراه عليك ككم الزهر
وكالهالة ازدان فيها القمر
جميل عليك فيا مهجتى
تعالى تعالى خذى قبلتى
وهاتى كتابك يا مؤنسة
وسيرى سريعا الى المدرسة

وكيف أقوم بحق الدعـــاء

أنا وردة غرسـها من يـديك

فهـذا الجمـال يعود اليك

أنا زهرة أنـت نورتهـا

أنا روضة أنـت نضرتهـا

باذنك أمى الى المدرسـة

أسير فمدرستى مؤنسـة

وفى سنة ١٩٤٠ هتف ابن أخيه بفتياته : ( ماما جابت بنت ) فخرج من بين ضيوفه وقد بلغه صوت البشير فقال :

الحمد لله هالة . وقال فيها :

| | |
|---|---|
| ليلة القدر أتتنـا | معهـا مولد هالة |
| بارك المولـد شهر | بارك الله هـلاله |
| نعم اللـه توالـت | كيف نوفى شكر هاله |
| كيف أحصى كل حـين | فضـل ربى ونواله |

أبو هالة

وكتب سنة ١٩٥٩ الى ابنته فاطمة :

بنيتى العزيزة فاطمة ...

أدعو الله أن يديم عليك العافية ويحوطك بالسعادة ويحقق فيك الأمل ، ويقرن حياتك بصالح العمل ، ويجعل مستقبلك كفاء ما نرى فيك من خلق جميل، وأدب رفيع ، وجد ونشاط آمين .

لفاطمة الحسناء فى الدين أسوة

بفاطمـة الزهراء خير الفواطم

لك الدين والأخلاق والعلم حلية

وهذى على الانسان أجدى المغانم

وخرجت نوار طفلة الى حديقة البيت وحـدها فنبحتها الكلاب فعادت أدراجها وهى تبكى خائفة فنسجت شاعريته الحنون هذه القصة أبياتا :

نبح الكلاب نوار فى جنح الدجى

فاستعبرت من نبحهن نوار

لا تغضبى فالكلب ينبح دائمـا

وتسير فى أفلاكها الأقمـار

وسارت نوار وغدت عروسا فأما يستقبل الوالد المتحنن وليدها بهذه الأبيات :

| | |
|---|---|
| جاء البشـير مبشرا | بالخير ما أحلى سماعه |
| بمحمـد فى يوم مولد | أحمد رب الشـفاعة |
| عوذته باسـم الرحيـم | يحوطه فى كل سـاعة |
| تاريخـه حفظ العلى | محمـدا فتحى رفاعة |

وذهبت اليه يوما أميمة تطلب اليه أن يشترى لها حذاء فلم يمر هذا الطلب العادى الذى يتكرر كل يوم بين الأبناء والآباء من غير شعر :

وارحمه لحـذاء كان يحملنى

قصرت أحمله رثا قد انقطعـا

[illegible] تروح ونغـدو لا يفارقنى

فى الجد والهزل نمشى صاحبين معا

داويت بالفعل بعد الفعل جلدته

أكثرت فى صفحتيه الخيط والرقعا

واليوم لابـد لى من أن أفارقه

ما حيلتى وعلاجى فيه ما نفعا

وهكذا كان رجلنا عبد الوهاب عزام بـين بناته يفرد عليهن من رحمة جنـاحا ويغدق عليهن الحب غمرا قصيرا فيه الأفعال شعرا ويغـدو معه الشعر تحببا ودلالا . لقـد بلغ من حبه لهن أنه كان يقول ( وددت لو كان لى أربعون بنتا أناسب بهن أربعين بلدا ) .

كان رفيقا منعما مع زهراته وكان رقيقا متلطفا مع آلهن .

قلت الشتاء فهاتى موقد النـار

فأقبلت تتهادى ربة الـدار

جاءت بنار لو أن الله خص بها

أهل الذنوب لما خافوا من النار

وكانت هالة تحرص على تقديم القهوة بعد افطار

رمضان وتستأثر بهـا ، وكانت تستمع الى أسمار منها قصة شيخ الأرانب ، وهى قصة طويلة بدئت فى جـدة ، واستؤنفت فى كراجى ولم تنته . وكانت تكتب ما تسمع ثم تصور حوادثه فأهداها قصيدته:

الى هالة

أهالة ان شـط المـزار فاننى
اليك ، على نأى الديار قريب
حديثك عندى والخيال يطيف بى
له فى خيالى جيئـة وذهوب
ولكننى ، والحق ، أشتاق قهوة
يضوع شذاها ، من يديك تطيب
تزفينها بعـد الطعام ولا يرى
لغيرك فيهـا شركة ونصيب
وأشتاق من (شيخ الأرانب) مجلسا
أحدث فيه ، والخيال خصيب
وخطك ما أمليه صـنعة كاتب
وضحكك منه ، والحديث عجيب
وتصوير ماسطرت تصوير حاذق
يزيد بيـانى روعة ويجيب
لأذكر صفا للأرانب قائمـا
يصـلى منيبا ، من رآه ينيب
يكاد من الاتقـان يبصر راكعا
ويسمع منـه للخشوع وجيب
وجمعا دعاه للصـلاة مؤذن
وأحسن فيـه قارىء وخطيب
فليتك عنـدى كى أتم حديثها
فذلك تحـديث الى حبيـب

النفحات ص ٩٦ ــ ٩٧

والى ( هالة ) أهدى نشيد المسحر تكميلا لقصص رمضان :

نشيد المسحر

يا نائم اسمع وانهض ... هيـا فاطعم واطعمن
وأسبق الى الخير الزمن ... ما فاز الا من بـدر

***

اهجر لخير نومكا ... وابدأ بخير يومكا
وارصـد لبر صومكا ... ما صـام الا مـن يبر

***

الليل يحـدو زهره ... والصبح يبدى زهره
والسكون يفشى سره ... فاقرأه فى لوح السحر

***

هـذا الظلام الدامس ... يتلوه صبح شـامس
فابسـم له يا عابس ... واستقبل الصبح الأغر

***

العيش بحر زاخـر ... المـرء فيه عابر
بالنجح فيـه ظافر ... من جد فيه ومن صبر

النفحات ص ١٠٤

لقد عبر الدكتور عزام بحر الحياة ظافرا من دنياه بالذكر العاطر ترويه الأحاديث وتحفظه الصفحـات فنا وعلما وأدبا وحـكمة تزول العروض وتحـول المظاهر ، ويظل باقيا كل ما أودعه ، الكتب ، عبد الوهاب عزام الانسان الفنان العالم الأديب ..

القـاهرة فى ١٩٦٣/٧/١١

نعمات أحمد فؤاد

# الاستظهار والتجربة في الثقافة العربية

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

التعليم الاستظهاري هو التعلم عن طريق الحفظ وحشو الذاكرة بالمعلومات والمعارف، وادخار مواد التعليم في الحافظة. اما التعليم التجريبي فهو الذي تنحى فيه الذاكرة قدر الامكان، وتطبيق الخبرات والتجارب العملية والمشاهدة العيانية، وذلك عن طريق تجلي العلم في العمل..

وقد مر كل من التعليمين بمراحل كثيرة، ولقي كل منهما من المناصرة والمعارضة ما انتهى آخر الامر الى الأوضاع الحديثة التي يجري العمل عليها في أغلب المدارس المتطورة مع أحدث مقتضيات الأصول التربوية السليمة.

ولاشك ان هناك بعض المواد الدراسية والمعارف التي لا يغني فيها الا الحفظ المطلق — مع الفهم والادراك طبعا لما يحفظ — كالنصوص الادبية من الشعر والنثر، وكالنصوص من الكتب المقدسة التي يهتم أهل الاديان باستظهار — الصغار والتلاميذ لها عن ظهر قلب، حتى ولو لم يعوها او يدركوا معانيها، او يتذوقوا البلاغة الفنية في أساليبها. اما المواد التي كالطبيعة والكيمياء وما سواهما من العلوم التجريبية فتحتاج الى الاختبار والتدريب العملي، اكثر مما تحتاج الى الحفظ والاستظهار وترداد العبارات والقوانين بلا فهم ولا ادراك.

وقد لوحظ ان الأمم القديمة — على وجه العموم — كانت تعنى في التعليم بالحفظ المكرر المؤكد وان طالب العلم كان يعتمد على الحافظة وحشو الذهن بالمعلومات اكثر مما يعنى بالتجربة والعمل والمشاهدة. ولم تسلم من ذلك أمة من أمم الشرق والغرب على السواء.

وقد بلغت عناية التربية الاسلامية العربية بالاستظهار والحفظ حدا لفت انظار المؤرخين. وظهر بين علماء المسلمين جماعة اشتهروا بندرة الحفظ، وغرائب الاستظهار. ولهم في ذلك روايات واخبار تحكى وتدهش.. ألم يحدثنا المؤرخ ابن خلكان في كتابه «وفيات الاعيان»، ان الامام احمد بن حنبل كان يحفظ عن ظهر قلب الف الف حديث من احاديث الرسول عليه السلام وكثيرا ما كان يقترن حفظ متون الاحاديث مع اسنادها ورواتها، لا يخطىء الحافظ في ذلك، ولا يخلط بين متن واسناد، ولا يدخل سند حديث في سند حديث آخر. وهذا در الامام البخاري صاحب الصحيح المشهور في الحديث، فقد ذكروا انه كان يحفظ في سن الصبا مائة الف من صحيح الاحاديث، ويحفظ ضعف هذا القدر من الاحاديث الموضوعة والمكذوبة.

واذا كان عدد الاحاديث التي يقال ان هؤلاء الحفاظ الكبار قد حفظوها يختلف بحسب اختلاف الروايات، فانه مما لاشك فيه ان قدرا عظيما جدا من الأحاديث كان يحفظها الحافظ، ويستحضرها في ذهنه، ويستشهد بنصوصها للاحتجاج بها في المسائل العلمية والفتاوى الفقهية المختلفة.

وهناك عامل ديني قوي لا يجوز اغفاله ونحن نتحدث عن الاستظهار في التربية الاسلامية، فهناك القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وقد انزل الله القرآن وضمن له البقاء والحفظ بقوله تعالى: (انانحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون). وضمان حفظ الله للقرآن يقتضي الايحاء الى المسلمين بحفظه في الصدور. ومن هنا لم تكف حركة كتابة القرآن في المصاحف بعد ان استحر القتل بالقراء في بعض الحروب والغزوات، فعمد المسلمون الى حفظ القرآن واقبلوا عليه يتدارسونه ويحفظونه عن ظهر قلب، ويعلمونه اولادهم الصغار في سن مبكرة، قبل ان يستكمل وعيهم وادراكهم وتفطنهم للمعاني الجميلة العميقة التي يشتمل عليها كتاب الله.

ولقد اوصى العلماء والمفسرون والفقهاء بأن تكون قراءة القرآن وحفظه مقرونة بالفهم للآيات، والتفكير والتدبر في مراميها. فلا يكون الحفظ تردادا لجمل غير مفهومة، بل يكون مؤسسا على الفهم والتدبر. وفرق بعض العلماء بين قراءة القرآن وتلاوته (فالقراءة تكون لرياضة الألسن، وتقويم الالفاظ، ويستحب الاخذ به على المتعلمين، والترتيل والتلاوة يكونان للتدبر والتفكر والاستنباط).

ومن هنا تظهر عناية العلماء المسلمين بعنصر «الفهم» لما قرأ ويحفظ. ولكنهم اختلفوا في الصبي الذي يحفظ القرآن في بيته أو في الكتاب، كيف يستطيع ادراك معاني القرآن وما يحتويه من أوامر ونواه، ومن

وعد ووعيد ، ومن دعاء واستغفار ، ومن ادلة على وجود الله وصفاته ، وهى كلها من الأمور التى تعلو على مستوى الصبى ،وتتسامى ، وتتسامى على ادراكه الصغير المحدود . ولهذا لم يجد الامام ابوبكر بن العربى حرجا فى الدعوة الى تأخير حفظ الصبى للقرآن الى سن متأخرة ، حتى يستقيم له قدر من الادراك يعينه على فهمه . واعجب مؤرخنا عبد الرحمن بن خلدون بهذه الفكرة فوافق عليها .. وان كان خضع آخر الأمر للتقاليد المتبعة ، فاوصى مع العرف بالبدء فى تعليم القرآن ، املا فى ان يجىء الفهم بعد ذلك فى مرحلة تالية للحفظ المجرد .

وقد بلغ من حرص المسلمين على الحفظ والاستظهار للعلوم والمعارف انهم كانوا يجعلون الحفظ فى الصدور غناء ينفع حين يفقد الكتاب او يمحى سطوره . ولموفق الدين البغدادى عبارة مأثورة فى اهمية « الحفظ » يقول فيها : (اذا قرأت كتابا فاحرص كل الحرص على ان تستظهر وتملك معناه . وتوهم ان الكتاب قد عدم، وانك مستغن عنه لاتحزن بفقده ) .

وسرت عدوى الحفظ والاستظهار للمادة العلمية من النصوص الدينية الى النصوص الادبية كذلك . فنجد رجالا مثل بديع الزمان الهمذانى ، والخوارزمى، وابن العميد ، والصاحب بن عباد ، والشاعر ابى تمام وغيرهم يتباهون بحفظ اقدار هائلة من اشعار العرب، حتى ان وزيرا مشهورا يشترط لمن يدخل عليه ان يكون حافظا لآلاف من ابيات الشعر ، فيسأله الحافظ الراوية المتحدى : اهذا القدر من شعر الرجال ام النساء ؟ !

وقد وضع بعض علماء المسلمين « معينات » تعين على الحفظ وقوة الاستظهار ، وشغل بعضهم نفسه باستنباط هذه الوسائل أو تلك ، حتى لقد رأينا الشيخ برهان الاسلام فى كتابه المخطوط المعنون « تعليم المتعلمين على الكمال » يلخص بعض « وصفات » لتقوية الذاكرة ، منها وصفات صحية ، لما بين الصحة الجسمية والصحة العقلية من ارتباط ، ومنها وصفات دينية روحية خلقية . فمن الوصفات الصحية : **الاقلال من الطعام**، والبعد عن امتلاء المعدة وعن كل ما يسبب البلغم ، ونظافة الاسنان ، واكل الزبيب الأحمر كل يوم على الريق ، وشرب العسل . ومن الوصفات الروحية النفسية : البعد عن المعاصى وعن الهموم والاحزان . اما الهموم فلاننا تؤثر فى النفس والبدن كما قال المتنبى :

والهم يخترم الجسيم نحافة
ويشيب ناحية الصبى ويهرم

واما المعاصى فقد نسبوا الى الامام الشافعى شكواه من ضعف الحافظة يوما ووصفه العلاج بقوله :

شكوت الى وكيع سوء حفظى
فأرشدنى الى ترك المعاصى
وارشدنى بان العلم نور
ونور الله لا يهدى لعاصى

والعامل الدينى فى الاهتمام بقوة الحفظ والاستظهار، مضافا اليه العامل الادبى يقويهما اعتبار اجتماعى آخر املته الظروف الاجتماعية عند العرب ، فقد كان شيوع الأمية فى الجزيرة العربية عاملا من عوامل الاعتماد على الذاكرة وقوة الحافظة . فان فقدان الأثر المكتوب فى كتاب يجعل حفظه فى الصدر شيئا ضروريا ، ومن هنا جاء الاهتمام بالرواية والرواة ، ومن هنا ايضا وجدنا عصرا من عصور الرواية والحفظ والتدوين ، حتى كان هؤلاء الرواة الحفاظ موضع التقرب والحظوة من الخلفاء والأمراء والولاة

على ان من الحق والانصاف ان «الحفظ» وحده لم يكن عاملا فعالا فى استيعاب المادة العلمية ، فقد كان «الفهم» ضروريا بجانبها كما سبق القول . فان من الظلم لاصول التربية الثقافية والمدرسية فى الاسلام ان نتهمها دائما بالاعتماد على «الاستظهار» والحفظ وحده . فان العقلية العربية الاسلامية لم تغفل قيمة الفكر والتدبر والفهم من حسابها . وكيف يكون ذلك وفى القرآن الكريم آيات تحث على التفكر والنظر والتدبر . فالتفكر والفهم غاية من غايات التربية الاسلامية . واول آية نزلت من القرآن تحض على القراءة ، لم تنبه الى مافى عجائب صنع الله . وهذا التنبيه هو مثار للتفكير ، لا الاخذ بالقضايا المسلمة . وهذه الآية تقول : (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ) فالقراءة وحدها لاتكفى ، وانما صاحبها التفات الى عجائب الخلق .

ومن حسن حظ الفكر الاسلامى ان بعض علماء الاسلام نظروا الى الحفظ على انه وسيلة فقط للتحصيل ، لا غاية ينتهى اليها الطلب . ولحاجى خليفة صاحب كتاب « كشف الظنون » كلام فى هذا يقول فيه : ( ان من كانت عنايته بالحفظ اكثر من عنايته الى التحصيل

ملكة لا يحصل على طائل من ملكة التصرف في العلم . ولذلك ترى من حصل الحفظ لا يحسن شيئا من الفن، وتجد ملكة قاصرة في عمله ان فاوض او ناظر . وانما المقصود هو ملكة الاستخراج والاستنباط وسرعة الانتقال من الدوال الى المدلولات ، وان انضم اليهما ملكة الاستحضار فنعم المطلوب ) .

وحذر بعض علماء المسلمين ومعلميهم من كتابة شيء بغير «فهم» . وفي هذا الشأن يقول الشيخ برهان الاسلام في كتابه ناصحا المتعلم : ( وعليه ان لا يكتب شيئا لا يفهمه ، لان ذلك يورث كلال الطبع ، ويذهب الفطنة . وينبغي له أن يجتهد في «الفهم» من الاستاذ، ويكثر من التأمل والتفكير ) .

ومن أدباء امتنا العربية من نستطيع بحق ان نعده في مقدمة انصار المذهب التدريبي العملي ، على الرغم مما يحيط بالاديب من ملابسات الحفظ والاستظهار. لعندنا «الجاحظ» الذى اتهمه المفكر الفرنسى رينان بانه كبقية علماء العرب والاسلام في الاعتماد على الحفظ لا على البحث ويكاد المؤرخ المفكر « كارا دي فو » يؤيد الفيلسوف رينان في هذا الاتهام . واصفة مؤلفات الجاحظ بأن الطابع الادبي هو الغالب عليها ، لا الطابع العلمى . وهذا كلام ننقضه من كلام الجاحظ نفسه ، ومن طريقته في التأليف ، وخاصة في كتابه « الحيوان » الذى يقول في مقدمته : ( وهذا كتاب تستوى فيه رغبة الامم ، وتتشابه فيه العرب والعجم ، لانه وان كان عربيا اعرابيا ، واسلاميا جماعيا، فقد اخذ من طرف الفلسفة ، وجمع معرفة السماع وعلم التجربة ، واشرك بين علم الكتاب والسنة ، وبين وجدان الحاسة واحساس الغريزة ) . وذكر الحاسة هنا وفي غير موضع من كتاب الجاحظ يدل على اهتمامه بالتجربة والخبرة الحسية . وهو يميل دائما الى «المعاينة» ، ويقول عنها : ( ليس شيء يشفيني الا المعاينة ) . فهو لا يعتمد على السماع والنقل والحفظ، ولكنه يعتمد على الرؤية التى هى سبيل من سبل البحث العلمى التجريبى . على انه كثيرا ما جمع بين الرؤية والتجربة . واستعانته بالحواس في التحقيق مماثلة لاستعانة الفيلسوف «بيكون» بها في القرن السادس عشر الميلادى . وقد سبق الجاحظ العربي المسلم الفيلسوف بيكون ببضعة قرون الى المناداة بطريقة التجربة والتدريب العملى ، فاستعان بالحواس، واوصى بعدم المغالاة فيها لانها قد تخدع ، واستعان بالتجربة ، حتى ليزدحم كتابه «الحيوان» بمئات من التجارب التى اجراها هو بنفسه ، ليصل الى الحقيقة العلمية المراد الوصول اليها .

ومن تجارب الجاحظ في كتاب الحيوان قبضه على الحيوان بنفسه او بغيره ، ليقف على حركته ، كقوله في الافاعي : ( وفي الأفاعى من العجب انها تذبح حتى يفرى منها كل ودج ، فتبقى اياما لا تموت . وأمرت الحاوى ، فقبض على خرزة عنقها ؛ فقلت له : اقبضها من الخرزة التى تليها قبضا رفيقا ، فما فتح بينهما بقدر سم — اى ثقب — الابرة حتى بردت ميتة ) وكذلك تجربته على بعض الحيوانات بدفنها في بعض النبات ليعرف حركاتها ، كما فعل في « الجعل » حين دفنه في الورد فمات ، فلما اعيد الى الروث عادت اليه حركة الحياة من ساعته .. والأدق ان نقول انه عمل التجربة في خنفساء ، لقرابة ما بين الاثنين .

وهكذا نرى الجاحظ الاديب عالما تجريبيا عمليا متطلعا الى المعرفة عن طريق الخبرة والتجربة ؛ فقد ذاق مثلا الشبوط ، ليعرف طعم لحمه .. ولا يكتفى بما يسمعه عن العقرب مثلا وعن حملها لعشرات الصغار من اولادها في بطنها ، بل نراه يلجأ الى عقرب، فيبعج بطنه بنفسه ..

ويذكرنا ما فعله الجاحظ في تاريخ المعرفة العربية بما فعله « رابليه » الفرنسى في تاريخ التربية والتعليم في القرن السادس عشر الميلادى ، أى بعد الجاحظ ببضعة قرون ، فقد دعا هذا المفكر الحر الى نبذ المذهب الجدلى الذى كان سائدا حينذاك ، والذى ناصره جماعة من اهل المماحكة والجدل أرادوا معرفة عالم الطبيعة — لا من العالم الواقعى نفسه — ولكن من خلال نظريات ارسطو ومعتقدات الكتب المقدسة. ولعل هؤلاء الجدليين كانوا متأثرين في انعزالهم عن الخبرة والتجربة المادية الواقعية بموروثاتهم الدينية التى كانت تؤمن بأن العالم المادى ما هو الا دار فناء ، لا داعى لاجهاد النفس بدراستها .. فجاء رابليه وغير مفهوم النظر الى العالم الطبيعى .

لقد لقى الاستظهار والحفظ من غير تفكير ولاتجربة ولا معاينة مقاومة من مفكرى العرب وغير العرب على السواء . وليس الغربيون في هذا بأسبق منا ، ولا كانوا في التجربة باعرق ولا افضل .. فقد اثبت تاريخ التربية والثقافة والمدارس ان الغربيين كانوا

« بقية المنشور على الصفحة التالية »

# ثلاث صور من "اليوتوبيا" في العصور القديمة والوسطى والحديثة

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

تطلق كلمة « اليوتوبيا » على المدن الفاضلة التى ينشئها خيال بعض الفلاسفة ، ويشرعون لهـا من النظم ما يرون انه امثل طريق للاصلاح الاجتماعى بحسب ما يذهبون اليه من نظريات ويدينون به من مبادىء .

ولم يخل عصر من عصور التاريخ من هذا الصنف من الفلاسفة والمصلحين ، ولا يمكن أن يخلو منهم عصر مادام التطور والتغير من سنن الاجتماع الانسانى ومادام الطموح الى الكمال رائد الفكر المستنير ، وكان من اشهرهم فى العصور القديمـة افلاطون ، وفى العصور الوسطى الفارابى ، وفى العصور الحديثة كامبانللا .

***

اما افلاطون ( من اشهر فلاسفة اليونان فى العصر القديم ٤٢٧ — ٣٤٨ ق.م ) فقد ضمن آراءه هذه كتابه « الجمهورية » ، فرسم فيه ما ينبغى أن تكون عليه الحياة السياسية ونظم الحكم وشئون التربية والتعليم وسائر فروع الاجتماع فى « جمهوريته » أو مدينته الفاضلة . فذهب الى أن المجتمع ينقسم ثلاث طبقات : طبقة الزراع والصناع ، وهؤلاء قد خلقوا للعمـل الجسمى فحسب ، فلا يصلحون بحسب طبيعتهم لاى عمل آخر ، وطبقة المحاربين ، وهؤلاء يضطلعون بشئون الدفاع عن البلاد ، وطبقة الفلاسفة ، وهؤلاء يتولون شئون الحكم ويديرون سياسة البلاد ، ويرأس الجمهورية فيلسوف كبير تتوافر فيه جميع صفات الكمال الجسمى والنفسى . وذكر ما ينبغى ان تقوم به الدولة فى شئون التربية والتعليم والثقافة العامة حتى تميز هذه الطبقات بعضها من بعض ، وتعد كل طبقة لما تضطلع به من وظائف . ولا يفرق افلاطون فى هـذه الوظائف بين الذكور والاناث . فالنساء فى جمهوريته يشاركن الرجال فى جميع شئون الحياة ، كل واحدة منهن حسب استعدادها . فتكون منهن الصانعات ، ومنهن المحاربات ، ومنهن المتخرجات فى مدارس الفلسفة العـالية اللائى يضطلعن بشئون

---

« البقية ص — ١٧ »

غارقين فى لجة الاستظهار والحفظ عن ظهر قلب الى الحد الذى أزعج مفكريهم وجعلهم يتنبهون وينبهون الى الخطر المحدق . وما زالت الرسائل الممتعة التى كتبها المفكر الفرنسى «الفونس اسكيروس» فى كتابه : « التربية الاستقلالية » موضع الاعجاب حتى يومنا هذا . فهى لم تفقد جدتها ولا لذتهـا على الرغم من اتجاه المدارس كلها اليوم نحو المذهب التجريبى فى حدود امكانيات كل أمة واستعداداتها .

ومن مفاخر الذهنية الاسلامية أن الامام الشيخ محمد عبده هو اول من نبه الى قيمة كتاب أسكيروس فى التربية ، وأوصى بترجمته. واستجاب لذلك رجل من خيرة رجال القضاء فى مصر سنة ١٨٩٩ ، وهو وقت يواكب صيحات ايبل ، وليبمان ، وجوستاف لوبون للتحرر من طريقة الحفظ فى المدارس . ومن اجمل ما قاله الفونس اسكيروس فى معرض الموازنة بين الحفظ والتفكير لدى الاطفال قوله : ( قد يسأل سائل : هل التفكير مما يتعلمه الطفل ؟ فاجيبه : هذا ما اعتقده . غير انه ينبغى التمييز التام بين ما يتلقاه من غيره من الافكار ، وبين ما يستنتجه هو منها بنظره الى الاشياء . ونحن فى تخاطبنا معه لا نفعل شيئا سوى تأدية افكارنا اليه على وجه التمام او النقص ، مع أن الذى كان يجب علينا ان نصرف همتنا اليـه هو ايقاظ ذهنه ، واستنباط أفكاره وآرائه . فاذهان من يعاشرون الكبار من الاطفال محشوة بجمل من الكلام لا يفهمون منها فى معظم الاحيان الا معانى فى غاية التشابه والالتباس .. وليس شحن اذهانهم بهـذه الجمل مما ينمى فيهم قوى الادراك والفهم بحال من الاحوال ، ولـكنه ابهاظ لها بما ليس من حقـه ان يكون فيها ) .

ونحمد الله أن آراء مفكرينا العرب التجريبيين ، ومفكرى الغرب التجريبيين قد انتهت بالانسانية الى النتيجة التى تتمتع بها مدارسنا الحديثة من ايثار للخبرة والتجربة والمعاينة على الحفظ والاستذكار .

**محمد عبد الغنى حسن**

الحكم . وذلك انه يرى أن ليس ثمة فرق جوهرى بين طبيعة الرجل والمراة ولا بين كفايتهما واستعدادهما، كما انه لا يوجد فرق جوهرى بين طبيعة ذكور الحيوان واناثه فى هذه الامور .

ونظام كهذا يقتضى فى نظره أن تكون الدولة نفسها هى المالكة لمعظم الثروات ومصادر الانتاج فى البلاد ، وان تجرى الحياة على نظام شيوعى تمحى فيه الملكية الفردية او لايكون لها فيه شان ذو بال . وقد راى افلاطون ان يطبق هذا النظام الشيوعى فى ادق معانيه على طبقة المحاربين . واما طبقة المزارعين والصناع فيبدو ان افلاطون قد سمح لهم بشىء من الملكية الفردية ومن حرية التصرف فى ثروتهم على ان يدفعوا للدولة ضرائب تستعين بها فى شئونهم وشئون الطبقات الاخرى ، ولكنه لم يعطهم حق توارث الملكية ، فملكية كل واحد منهم تؤول الى الدولة بعد وفاته .

ويرى ان من واجب الحكام أن يحددوا الشكل الذى تاخذه علاقة الرجل بالمراة على وجه يؤدى الى تحسين النسل وترقية النوع ، بدون أن يتقيدوا فى ذلك بما يرتضيه العرف وتسير عليه التقاليد فى شئون الزواج وارتباط الرجال بالنساء . ويتشدد افلاطون فى وجوب تطبيق هذا النظام على طبقة المحاربين بوجه خاص ، لانه لايريد أن يكون لهؤلاء اسرات خاصة تنازعهم حبهم لأوطانهم .

ويؤثر افلاطون ان تسير طبقة المحاربين فى شئون غذائها على نظام « الموائد الجمعية العامة » الذى طبقه من قبل فى اسبرطة مشرعها الشهير ليكورغوس فيتناولون غذاءهم فى تكتلهم على موائد جمعية متماثلة تقدمها لهم الدولة وتنتظم كل مائدة منها سرية او قسما من سرية .

ولم تحاول اثينا تطبيق نظام افلاطون ولا الأخذ باية ناحية منه ، بل كان موضوع سخرية مفكريها وشعرائها . ومن هؤلاء الشاعر الكوميدى أرستوفان ( ٤٥٠ ــ ٣٨٧ ق.م ) . فقد تهكم فى تمثيليته الشهيرة « برلمان النساء » التى ظهرت سنة ٣٩٢ ق.م بالاتجاهات الشيوعية التى اخذت تظهر فى الفلسفة المعاصرة له ، وخاصة فلسفة افلاطون ، وان كان لم يصرح فى روايته باسم هذا الفيلسوف ، وابان فى صورة ساخرة عن النتائج الهدامة التى تنجم عن الاخذ بهذه النظريات وتطبيقها فى حياة الجماعات .

فصور جماعة من النساء الاثينيات تكونت منهن الاغلبية الساحقة للبرلمان تطبيقا لنظام عدم التفرقة بين الذكور والاناث ، فاقررن دستورا جديدا لاقامة جميع فروع الحياة الاجتماعية على دعائم شيوعية خالصة . وهنا اتيح لارستوفان ان يظهر ما يترتب على تطبيق هذا الدستور من نتائج وخيمة فى حياة الافراد والجماعات وما يشيعه من مظاهر الفساد والانحلال والغش والكذب فى معاملات الناس بعضهم مع بعض ومعاملاتهم مع الحكام. فمن ذلك انه يظهر مواطنا يونانيا يخفى جميع امواله ولا يقدم اشتراكه فى الموائد الجمعية ، ولكنه يتسلل الى هذه الموائد ياكل منها حتى يتشم ، ثم يدلف الى منزله ساخرا من حمق بعض المواطنين وسفههم اذ يقدمون اموالهم وكدح أيديهم الى ما يسمونه « مخازن الموائد العامة »

***

واما الفارابى ( ابو نصر محمد الفارابى من اشهر فلاسفة المسلمين ومن رجال القرن الرابع الهجرى والقرنين التاسع والعاشر الميلاديين ) فقد ضمن آراءه فى هذا الصدد كتابه عن « آراء اهل المدينة الفاضلة ». فوضع فيه ما يصح تسميته « تصميما » لهذه المدينة . وقد جاء تصميمه هذا مشبها فى معظم نواحيه لتصميم افلاطون لجمهوريته مع بعض فروق يسيرة تاثر فيها بمبادىء الدين الاسلامى .

وقد قسم الفارابى المجتمعات الانسانية قسمين : مجتمعات كاملة ، ومجتمعات ناقصة . وقرر ان المجتمعات الكاملة هى التى يتحقق فيها الاكتفاء الذاتى والتعاون المتبادل على اكمل وجه وامثل طريق . وهى فى نظره ثلاث مراتب : فارقاها مرتبة اجتماع العالم كله فى دولة واحدة وتحت سيطرة حكومة واحدة ، واقل منه كمالا اجتماع امة فى جزء من المعمورة تحت سيطرة حكومة مستقلة ، واقلها جميعا فى الكمال اجتماع اهل مدينة فى جزء من الأمة تحت سيطرة رئيس .

ويلاحظ ان الاجتماع الأول الذى ذكره الفارابى وجعله اكمل المجتمعات الكاملة جميعا لم يذكره احد من قبله من مؤلفى « اليوتوبيات » ، بل لم يخطر ببال فلاسفة اليونان الذين اغترف من معين فلسفتهم

« البقية ص ــ ٢٢ »

## من وحى الثورة

# راهب الحقل

للأستاذ محمود غنيم

راهبٌ خطّ فى القرى محرابَهْ ... بين شط الغدير والبلابه
عاش للحقل والنبات فكانا ... دينَه فى حياته وكتابه
عرف اللهَ فطرةً لا اكتساباً ... فرجا عفوه وخاف عقابه
ما احتواه فى الله شكٌ ولا طو ... ل التحرّى عنه أثار ارتيابه
حسبه أن كلّ شىء بهذا الـ ... ـكون يُومى إليه بالسّبابه
عرف اللهَ فى الطّبيعة عطفاً ... وحناناً وقوةً غلاّبة
من قواها استمدَّ قوة زَنْد ... ـه ومن شمسها استعار خضابه
ربّ طبع من الغدير استقاه ... فهو ينساب فى الحياة انسيابه
منح الأرض لا الملاحَ هواه ... فهو صبٌّ بها عميقُ الصبابه
كادح فى شبابه ما قضى فى ... مسرح اللهو والمِراح شبابه
وإذا شاب لم يزلْ عودُه كالنّـ ... ـبع فيه بقيّة من صلابه
يلبس الشيب هالةً من وقار ... لا الضنا شانَهُ ولا النقصُ شابه
لم يزيِّنْ ثيابَه النقشُ لكنْ ... زيّن الطهرُ والعفاف ثيابه
زرقةُ اللون فى العيون وأخرى ... فى السموات زانتا جلبابه
وإذا خاف من حساب عسير ... ذو ثراء فما أخفّ حسابه
يحسدُ القصرُ كوخَه ربّ كوخ ... هو للأمن والسلام مثابه
أين عشٌّ رفّ النعيم عليه ... من قصور رانتْ عليها الكآبه
القمارى من حوله والسواقى ... تلك عود وهذه شبّابه

لم يؤرقه في مناط الثريا     مطالب راح يرتق أسبابه

مكتف من طعامه بكفاف     قانع من شرابه بصبابه

رضيت نفسه فعاش سعيداً     ولقد يسعد الرضا أصحابه

في سكون القرى ينام ويصحو     ما له والمدائن الصخابه

أنا من ضاق بالحواضر ذرعاً     وأواها فحطمت أعصابه

كم لها كاللاح والراح صرعى     خدعتهم أضواؤها الخلابه

حسب هذا الأمي أرض براح     هو في لوحها يجيد الكتابه

خامل من يراه غير نبيه     وجهول من بالجهالة عابه

هو لا يرتقي المنابر لكن     فأسه في الثرى تجيد الخطابه

لو ترى ما تخط محراثه في     أرضه قلت آية في النجابه

إن للكون معهداً لم يثقف     بدواة ومرقم طلابه

لم يسجل علومه في كتاب     أو يدون في معجم آدابه

وبه تشغف السوائم حباً     ويراها دون الورى أحبابه

ربطته بكل ذات ثغاء     أو خوار مودة بل قرابه

رفقة يأمن الصديق أذاها     لا بدساسة ولا كذابه

كم سقته من الحليب زبيباً     أبيض اللون لا يضيع صوابه

كم صديق من وجهه يقطر البشـ     ـر ولا يأمن الصديق غيابه

ومن الناطقين من هو أضرى     من أفاعي وكر ومن أسد غابه

ما لهذا الملاك أمسى وأضحى     وهو نهب مقسم لعصابه

سرقوا راهب البتول عن اللـ     ـه وصاروا من دونه أربابه

أمن العدل أن يعيش أسير الـ     ـحقل من شاب بالدماء ترابه ؟

وهو من أخرج النضار من الأر     ض وصفى من التراب لبابه

كم جنى القمح عسجداً وجنى القطـ     ـن لجيناً وبات يلعق صابه

يطرق الخير كل باب إذا ما     أثمرت أرضه ويترك بابه

« بقية ص – ٢٣ »

وتظرياتهم كأفلاطون وارسطو . فهؤلاء لم يفكروا الا فيما كان يقع تحت مشاهدتهم وهو الدويلات الصغيرة التى تتألف كل دولة منها من مدينة وتوابعها ، أو من بعض مدن وتوابعها . ولعل ذلك يرجع الى تأثر الفارابى بتعاليم الدين الاسلامى ، اذ ان الاسلام يهدف الى اخضاع العالم كله لحكومة واحدة ونظام واحد . وهذا هو المجتمع الذى تطمح اليه الشعوب عقب الحروب الطاحنة ، والذى أريد التمهيد له بانشاء « عصبة الأمم » عقب الحرب العالمية الأولى ، و « هيئة الامم المتحدة » عقب الحرب العالمية الأخيرة.

وقد اغفل الفارابى النوعين الاولين من المجتمعات الكاملة ، وهما اجتماع العالم واجتماع الأمة ، وقصر كلامه على اجتماع المدينة وما يجب توافره فى مجتمعها حتى تكون فاضلة سعيدة ، لأن المدينة هى الخلية الأولى للمجتمعات الكاملة ، فبصلاحها تصلح هذه المجتمعات وبفسادها يعتورها الفساد . فالكلام على الأمور التى يجب أن تتوافر فيها حتى تكون فاضلة – وهو الذى عرض له الفارابى – يعد شرحا لدعائم الفضل فى سائر المجتمعات الانسانية الكاملة .

---

والمدينة الفاضلة فى نظره هى ما تتحقق فيها سعادة الأفراد على اكمل وجه . ولا يكون ذلك الا اذا تعاون أفرادها على الأمور التى تنال بها السعادة . واختص كل منهم بالعمل الذى يحسنه وبالوظيفة المهيأ لها بحسب طبعه واستعداده .

واهم وظائف المدينة واكبرها خطرا فى نظر الفارابى هى وظيفة الرياسة . وذلك لأن رئيس المدينة فى نظره هو السلطة العليا التى تستمد منها جميع السلطات ، وهو المثل الأعلى الذى ينتظم جميع الكمالات . فهو مصدر حياة مدينته وقوام نظامها . ومنزلته من سائر أفرادها كالقلب من اعضاء الجسم ، بل ان منزلته منهم كمنزلة الله عز وجل من سائر الموجودات .

ولذلك لا يصلح للرياسة الا من زود بصفات فطرية ومكتسبة يتمثل فيها أقصى ما يمكن ان يصل اليه الكمال فى الجسم والعقل والعلم والخلق والدين. ومع أن الفارابى يرى انه من النادر أن تتوافر هذه الصفات جميعا فى شخص واحد ، فقد أضاف اليها صفة إخرى زادت الأمور استحالة وتعذرا ، وهذه الصفة هى اتحاد الرئيس « بالعقل الفعال » ، وهو العقل المشرف على الانسانية الذى ينبعث عن الله تعالى مباشرة كما ينبعث الضوء عن الشمس ، فيستحيل الرئيس بذلك الى كائن روحى يمتزج بالعقول ، ويتصل بالملأ الأعلى ، ويتلقى عن هذا الملأ بطريق مباشر نفحات الوحى والاشراق .

واذا أضفنا الى هذا ان الفارابى يرى أن أفراد المدينة لا تتحقق سعادتهم ولا تصبح مدينتهم فاضلة الا اذا ساروا على غرار رئيسهم واصبحوا صورة منه ، وان الرئيس لا يعد مؤديا لرسالته الا اذا وصل بهم الى هذا المستوى الرفيع ، يظهر ان المدينة الفاضلة التى اقام الفارابى قواعدها فى كتابه هى مدينة يراسها انسان لا تقل منزلته كثيرا عن منزلة الانبياء والملائكة ، ويتألف أفرادها من قديسين . ومدينة كهذه لا يتاح وجود مثلها فى عالمنا الدنيوى .

***

واما توماس كامبانللا فهو كاتب ايطالى عاش فى اواخر القرن السادس عشر واوائل القرن السابع عشر ( ١٥٦٨ – ١٦٣٩ ) . وقد حاول فى كتابه « مدينة الشمس » أو « دولة الشمس » الذى الفه فى صورة رواية أن يرسم مدينة فاضلة كما فعل ذلك من قبل أفلاطون والفارابى ، فوضع تصميمها على ان تكون مدينة شيوعية فى نظمها واستبدادية فى حكمها .

---

أما الشيوعية فقد ارادها مطلقة وان تطبق فى جميع شئون الحياة حتى فى علاقات الرجال بالنساء . فلا اثر فى مدينته للملكية الفردية كما لا اثر فيها للزواج ولا للأسرة بالمعنى الذى نفهمه فكل شىء فيها شائع عام . ولم يكتف كامبانللا بوضع هذا النظام العام ، بل حرص على وضع نظم تفصيلية لجميع نواحى الحياة فى هذه المدينة ، وعمل على ان يكون كل شىء فيها مضبوطا منظما ، واضح المعالم ، بين الحدود ، حتى الاكل والشرب وساعات العمل وقضاء أوقات الفراغ .

واما فيما يتعلق بشئون الحكم فى هذه المدنة فقد اراد كامبانللا أن يتولاها الفلاسفة والحكماء ، وان يكون على رأسها فيلسوف كبير سماه فى روايته « هوه » أو « صول » ، واشترط فى هذا الرئيس شروطا لا تختلف كثيرا عن الشروط التى اشترطها

البقية على الصفحة التالية

# فى موكب العلم

## رمالنا السوداء فى عصر الذرة

بقلم فوزى الشتوى

رمالنا السوداء ، التى يجلبها النيل فى طميه السنوى ، بدأت تحتل مكانها فى العصر الذرى . وتبشر البوادر بأنها وقود العالم فى مستقبله القريب . وقد لا تمضى سنوات حتى تضاء المدن ، وتدور المصانع بفعل الطاقة المستخرجة من احد عناصر هذه الرمال ، وهو المعروف باسم « ثوريوم » ، ويعد اول داخطر منافس لعنصر «اليورانيوم» الذى ينتظر ان يختفى ، ويصير استخدامه من المودات القديمة فى العصر النووى .

وعنصر « الثوريوم » ليس جديدا على علماء المواد المشعة ، فقد اكتشفه « برزليوس » عام ١٨٢٨ ، واطلق عليه اسم اله الرعد « ثور » .. وهو معدن اسمر اللون كان من الصعب فصله نقيا بسبب شدة نشاطه الكيميائى . ولكن الجديد فى امره هو اكتشاف بعض اسراره التى اتاحت استغلاله كمادة وقود ذرية

### مفاعل من الثوريوم

واعلن اخيرا الخبراء والباحثون فى معامل اوكريدج الذرية الامريكية ، انهم تمكنوا من خلطه بنسب معينة من عنصر « اليورانيوم ٢٣٣ » . فصنعوا من الخليط اسياخا طول كل منها نحو ٩٥ سنتيمترا ، وقطره نحو ١٦ ملليمترا . وأرسلوا من هذه الاسياخ كمية الى معامل بركهافن الذرية قرب نيويورك لتجربتها فى عمليات التفاعل الذرى المتسلسل لجمع بيانات جديدة تمهد لانشاء المفاعلات النووية التى تنتج الطاقة الكهربائية .

وقالوا ان اتمام التجارب المطلوبة يحتاج الى نحو ١١٠٠ سيخ تنقل على دفعات فى كل منها ١٣٢ سيخا . وتبدو صعوبة تحضير هذا الخليط المعدنى ، وتنسيقه فى هذا الشكل ، من أن معملا كبيرا مزودا بعشرات من الفنيين لا يستطيع انتاج اكثر من ١٥ سيخا فى اليوم الواحد

****************************************

بقية المنشور على ص ٢٦

افلاطون فى رئيس جمهوريته والفارابى فى رئيس مدينته الفاضلة ، ووضع فى يده سلطة مطلقة يتصرف بمقتضاها فى جميع شئون الدولة ماديها وروحيها ، فتجرى الأمور وفق مشيئته ، لا معقب على احكامه ، ولا راد لقضائه . فليس فى مدينة كامبانللا مجال للحرية الفكرية ولا للحرية الدينية ، ولا سبيل الى الاعتراض على ما يريده الرئيس .

ويساعد هذا الرئيس ويقوم بتنفيذ شرائعه وتعليماته ثلاثة وزراء منقطعوا النظير لا يجاريهم فى الاضطلاع بالشئون التى يشرفون عليها احد من العالمين . احدهم الوزير « بون » ( اسمه فى الرواية ) ووظيفته الاشراف على شئون الدفاع وتنظيم الجيش الذى يرى كامبانللا — كما راى افلاطون من قبل انه من الواجب أن ينتظم فى سلكه الرجال والنساء على السواء . وثانيهم الوزير « سن » ( اسمه فى الرواية ) ووظيفته الاشراف على شئون التربية والتعليم فى المدينة بمختلف مظاهرهما وانواعهما . وقد راى كامبانللا ان يكون التعليم فى هذه المدينة اجباريا مشتركا يستوى فيه الذكور والاناث ، وبين بالتفصيل ما ينبغى أن تكون عليه ابنية معاهده وخططه ومناهجه النظرية والعملية . وثالث الوزراء هو الوزير « مور » ( اسمه فى الرواية ) ووظيفته تنظيم العلاقات الجنسية والمحافظة على النسل والسهر على ان يبقى عنصر الأمة سليما نقيا مجردا من الشوائب . ولما كانت العلاقات الجنسية تسير فى هذه المدينة على مبدأ الشيوعية كما تقدم ، وروابط الجنسين فيها تقوم على أواصر الحب لا على عقود الزواج ، لذلك كانت أهم وظائف هذا الوزير ان يعمل على تنظيم هذه الشيوعية وهذا الحب حتى لا تؤدى الشيوعية الى الفوضى ولا يؤدى الحب الى الاستئثار .

—

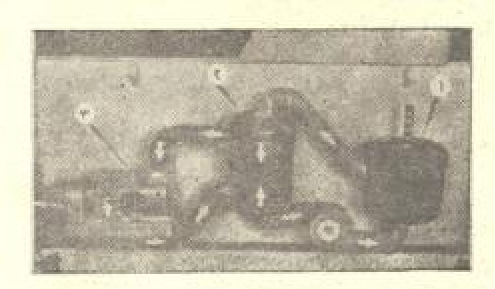
فالشيوعية الجنسية — فضلا عن انها لم توجد فى اى مجتمع انسانى واقعى — لم يستطع خيال اصحاب « اليوتوبيات » انفسهم تصورها مجردة من القيود .

دكتور على عبد الواحد وافى

وتم اتخاذ مثل هذه التدابير بعد دراسات واسعة، عرضت ، ونوقشت فى عشرات المؤتمرات الخاصة بدراسة مادة الثوريوم . وكان الهدف الاساسى استخدامها على هيئة سائل ، فالخبراء الذريون يرون ان استخدام الوقود الذرى السائل يوفر نحو ٤٠٪ من نفقات وقود ذرى فى حالة الصلابة . والسبب هو سهولة تناوله ، والتحكم فى تنقلاته بمعونة الاجهزة التلقائية .

وقال الخبراء ان البوادر تبشر باتساع المجال امام مادة « الثوريوم » . ومن الجائز أن تصنع منها محركات الطائرات . واذا قلنا محركات الطائرات ، اضفنا ايضا محركات شتى وسائل النقل الكبيرة كالقاطرات والسفن ، مما يسمح حجمها باحتواء مفاعل ذرى ، وما يتبعه من سبل حماية الركاب من الاشعاعات الذرية . فالقاطرات والسفن اقدر من الطائرات على الافادة من مثل هذه المحركات

## حلم العرب يتحقق



**مولد ذرى لغواصة .. ويبين (١) المفاعل الذرى و (٢) الغلاية التى يتولد فيها البخار لإدارة التربينات (٣) ومنه تنتج الكهرباء**

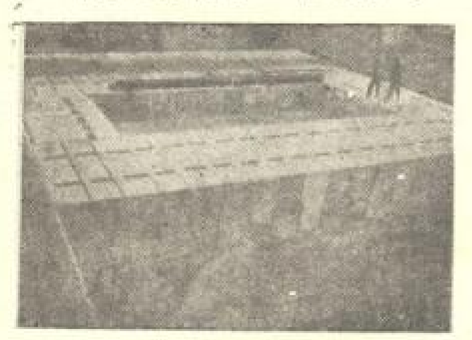
اما كيف تتحول مادة « الثوريوم » الى وقود ذرى ، فيرجع الى خواصها الطبيعية ، وتكوين نواتها التى تتألف من ٢٣٢ جسيمة ، منها ٩٠ من الجسيمات المعروفة باسم «بروتون» ذات الشحنة الكهربائية الموجبة ، والتى تتعادل كهربائيتها بعدد مماثل من جسيمات « الالكترون » السالبة الشحنة . اما بقية الجسيمات ، فمن «النيوترونات» المتعادلة الكهارب

وهى تتحول الى مادة وقود نووى بنفس الطريقة التى يتحول فيها اليورانيوم ٢٣٨ الى مادة بلوتونيوم، وزنها الذرى ٢٣٩ . ويتم التحول ، اذا ما التقطت نواة «الثوريوم» جسيمة من «النيوترون» ، واحتفظت بها ، فعندئذ تتم فيها سلسلة من التفاعلات النووية، التى تحقق ما حلم به الكيميائيون العرب من تحويل عنصر الى آخر ، اذ يتحول الثوريوم الى يورانيوم ٢٣٣ ، ورقمه الذرى ٩٢ . ودلت الدراسة على ان هذا العنصر قابل للانشطار كتوامه اليورانيوم ٢٣٥ و « البلوتونيوم» ٢٣٩ ، ومنهما تصنع القنابل الذرية والمفاعلات النووية على اختلاف انواعها

واستقرار جسيمة النيوترون فى نواة اى عنصر ليس من المسائل الهينة . فان هذه الجسيمة تنطلق عادة بسرعة كبيرة . وبسبب تعادل شحنتها الكهربائية ، فانها لا تجد اية معارضة سواء فى اغشية الذرات اونواها ، ولهذا فالجانب الاكبر منها ينطلق فى الهواء حتى يتحلل فى اغلب الاحيان .

## خفض سرعة النيوترونات

ولاستغلال طبيعة هذه الجسيمة اعمد العلماء الى ابتكار الوسائل لخفض سرعتها ، بأن يضعوا فى طريقها ذرات عناصر لا تدمرها كالجرافيت والماء الثقيل ، وغيرهما من العناصر التى يطلق عليها اسم مهدئة ، وبمعونتها تنخفض سرعة « النيوترون » حتى اذا ما تجاوزت طبقات العناصر المهدئة ، فانها تكون فى سرعة تتيح لها الاستقرار فى نوى العناصر المراد احداث التفاعل النووى فيها كالثوريوم واليورانيوم .



**الاستعداد لتجارب الثوريوم فى المفاعلات الذرية ، ويحتاج الى عشرات الاطنان من دروع الوقاية التى تصنع من الاسمنت المسلح الذى يمنع الاشعاع من النفاذ . وفى بروكهافن توجد آلاف من هذه الدروع لوقاية العلماء والباحثين**

وقد عرفت وسائل تهدئة سرعة النيوترون فى اوائل العصر الذرى ، بمعونته استطاع العالم الايطالى « فرمى » ان يحدث اول تفاعل ذرى متسلسل فى عام ١٩٤٢ . وبمعونته ، كان انشطار نواة ذرة « يورانيوم ٢٣٥ » — وهو يوجد عادة فى الطبيعة مندمجا مع « اليورانيوم ٢٣٨ » — تطلق جسيمتين او ثلاثا من « النيوترونات » ، وكل منها يستقر فى « اليورانيوم ٢٣٨ » ، فيحوله الى عنصر «البلوتونيوم» الذى صنعت منه اولى القنابل الذرية . وبمعونة التفاعل النووى المتسلسل ايضا ، تعمل شتى المفاعلات سواء كانت لانتاج الكهرباء ، او لتحويل المواد المشعة الى وقود نووى او لانتاج النظائر المشعة .

واذا كان العلماء قد عرفوا وسائل تهدئة سرعة « النيوترونات » ، وكل منها يستقر فى « اليورانيوم فقد كان عليهم ان يتوسعوا فى دراسة عنصر « الثوريوم » ليعرفوا السرعة اللازمة لتستقر « النيوترونات » فى نواته ، كما تحتم ان يعرفوا خواص كل من المواد الناتجة ، ومدى الفائدة والضرر الذى يجنى منها . فغاز « البلوتونيوم » الناتج من تحول اليورانيوم النقى سام ، وقاتل للانسان . واثبت « اليورانيوم ٢٣٣ » الناتج من تحول « الثوريوم » ، انه لا يقل ضراوة عنه ، مما يحتم اتخاذ الاحتياطات الصحية اللازمة حتى لايصاب الباحثن بالتسمم .

### اتفقت كيميائيا واختلفت ذريا

ويجب فى هذا المجال ان نفرق نظائر اليورانيوم . فالنقى الموجود منها فى الطبيعة يتالف من ثلاثة نظائر تتفق كلها فى الخواص الكيميائية ، وان اختلفت فى الخواص الطبايعية ، والاوزان الذرية . فوزن احدها ٢٣٤ ، والثانى ٢٣٥ ، والثالث ٢٣٨ .

وختلاف هذه الارقام معناه اختلاف عدد مايحويه كل منها من جسيمات « النيوترون » المتعادلة الشحنة الكهربائية . ودلت الدراسات على ان النظير ٢٣٥ هو الوحيد القابل للانشطار ، وانتاج الطاقة بكميات وافرة . اما النظيران الآخران فيعملان كصمام امن يمنع انفجار النظير ٢٣٥ الذى لايوجد فى الطبيعة على هيئة كتل ، بل يوجد على هيئة ذرات متناثرة .

اما النظير ٢٣٣ ، فينشا « كالبلوتونيوم » ، عندما تحدث سلسلة تفاعل ذرى فى كومة او كمية من عنصر « الثوريوم » . وقد اثبت انه قابل للانشطار كتوامه ٢٣٥ ، ولكنه يفضله فى سهولة فصله من الشوائب التى تختلط به ، لانه يكون مخلوطا بمواد كيميائية مختلفة يسهل العامل معها بالطرق الكيميائية ، بينما النظير ٢٣٥ يكون مختلطا بنظائر مثله ، ولها نفس خواصه الكيميائية ، مما حتم فصله بوسائل طبيعية باهظة النفقات ، وتحتاج الى اجهزة فائقة الدقة .

وبسبب شدة تعقيد عمليات فصل اليورانيوم ٢٣٥ ، فان اكثر الدول المشتغلة بالمسائل الذرية ، توثر تحويل اليورانيوم النقى الى « بلوتونيوم » ، وهو عنصر كيميائى مختلف تسهل عمليات فصله عن اليورانيوم الطبيعى ، والشوائب التى تنتج فى التفاعل النووى .

### وفرة من الوقود



**التعامل مع المواد المشعة من المسائل الخطرة . ولهذا ابتكر الخبراء هذه الايدى التلقائية التى تتيح لهم نقل هذه المواد بسهولة**

حقيقة ان « اليورانيوم ٢٣٣ » يماثل شتى نظائر اليورانيوم فى الخواص الكيميائية ، ولكن العبرة فى سهولة تحضيره ، ان المواد التى ينشا فيها نظائره الاخرى ، بل تحوى عناصر كيميائية مختلفة كالثوريوم ، وما قد ينشا من شوائب اخرى كالبريليوم وغيره من المواد التى تجدها فى منتصف قائمة العناصر الذرية ، بينما الثوريوم واليورانيوم فى آخرها .

وعلى هذا الاساس صنعت القضبان او الاسياخ من قليل من اليورانيوم ٢٣٣ ، وكثير من الثوريوم ، واذا ما انشطرت ذرة من اليورانيوم اطلقت جسيمتين

او اكثر ، لتستقر كل منها فى نواة الثوريوم ، فتحوله الى يورانيوم ٢٢٣ . وبعضه ينشطر ايضا ، ويحدث سلسلة التفاعل المنشودة . وفيها تتولد طاقة حرارية يمكن استغلالها فى توليد الكهرباء ، وفى الوقت نفسه تتحول بعض ذرات الثوريوم الى يورانيوم ٢٢٣

ويقول الخبراء ان الدراسات النظرية والحسابية دلت على ان الثوريوم افضل من اليورانيوم فى هذا السبيل ، لان الاول ينشىء من مواد الوقود الذرى اكثر مما ينشىء الثانى . وفى كل من المفاعلات الذرية المستخدمة تسمع عن فترات يتعطل فيها المفاعل لتجديد شحنه بمواد الوقود الذرية ، وهى اليورانيوم ٢٣٥ أو البلوتونيوم . ومعنى هذا ان عدد ذراتها القابلة للانشطار قلت الى حد يعرقل سير التفاعل المتسلسل أو يوقفه ، فتنطلق « النيوترونات » ولكنها لا تجد فى طريقها ذرات قابلة للتحول ، فتسير فى طريقها ، أو تستقر فى شوائب عديمة القيمة .

وظهر من الدراسات أن الثوريوم فى تحوله الى يورانيوم ٢٣٣ ، ثم فى انشطار الاخير يولد مواد وقود ذرية اكثر مما يستهلك ، اى ان كمية اليورانيوم ٢٣٣ تزيد ولا تنقص كما هى الحال فى المفاعلات الذرية المعروفة الآن . ومعنى هذا أن المفاعلات التى تستعمل بالثوريوم ستعيش عاملة مدة اطول . ومعنى الزيادة فى السعر زيادة فى جنى الفوائد ، وخفض فى نفقات التشغيل . واذا كانت المفاعلات المعروفة تعمل لمابية اشهر ، بينما مفاعلات الثوريوم تعيش سنة ، فمعنى هذا ان مفاعلين منها يساويان ثلاثة من المفاعلات المعروفة .

---

### تدابير الوقاية

ولا تقف فوائد مفاعلات الثوريوم عند هذا الحد بل ان دراسته اثبتت ، أن الاخطار الاشعاعية فيه اقل من اخطار المفاعلات المعروفة . ولهذه الاخطار اهميتها ، اذ توجب اتخاذ التدابير والاحتياطات حتى لا يتسرب الاشعاع ويصيب الباحثين ، او يلوث جو البقعة . وتبعا لقلة الاخطار ستقل ايضا نفقات التدابير الوقائية . وهى عامل اقتصادى له اهميته عند تشغيل اى محطات انتاج القوى او المصانع على اختلاف انواعها .

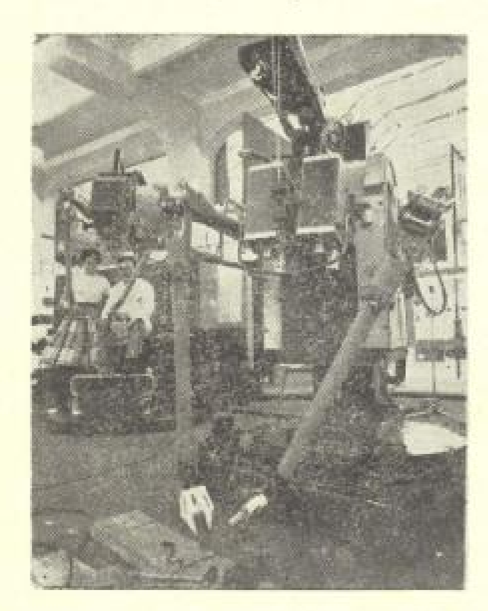
ومن المقرر عند العلماء الذريين والخبراء الاقتصاديين فى الطاقة الذرية ان تتحول مواد الوقود النووية من حالة الصلابة الى حالة السيولة ، فبها يوفرون الكثير من الأجهزة والآلات التى تعرف كيف تنقل المواد الصلبة وتتعامل معها . بينما السوائل ذات صفات اكثر مرونة ، ويمكن استغلالها فى كثير من هذه العمليات ، مما يغنى عن كثير من الاجهزة الحالية ، ووسائل صيانتها ، ومراقبة عمليات ادائها لواجباتها .

---

ولم ينتقل الخبراء الى التجربة على حالة السيولة ، بل آثروا الاكتفاء بالتعامل مع المواد الصلبة . ومن اخطر ما يواجههم فى السوائل ، حالة التآكل التى تطرأ على الأوعية الحاملة للمواد . وهم يحاولون علاجها ، والعثور على حل لها من عدة سنوات . ويبدو انهم لم يصلوا بعد الى دواء ناجع لها . وهم بسببها يواصلون الدراسات للتوسع فى معرفة خواص المواد على اختلاف أنواعها ، وكيف تتفاعل كيميائيا بعضها مع بعض . وعند ما تتم مثل هذه الدراسات ، فانهم سيتمكنون من تذليل هذه العقبة . وعندئذ من الجائز ان نحصل على الطاقة النووية بعشر نفقاتها الحالية .

---

### توزعه الانهار



مادة الزركونيوم .. انها جزء من الرمال السوداء. ويوجد معها عنصر الثوريوم الوقود الذرى بعد سنوات قليلة

ويرى العلماء أن الثوريوم هو مادة الوقود الذرى فى المستقبل القريب بسبب كثرة انتشاره فى شتى انحاء العالم . فتجد كمياته متوفرة بمقادير ضخمة فى مصر ، والهند ، واوروبا ، وبلاد امريكا . ويندر ان نجد رقعة أرض خالية منه ، لان الطبيعة ذاتها تعمل على توزيعه . واهم ادوات نقله هى الانهار ، كما هى الحال فى نهر النيل الذى يقدم فيضه من بعد الألف الكيلومترات ، فيمر بالجبال والوديان ، ويغترف العينات من كل ما يقابله من صخور ومعادن .

فالطمى القادم مع فيضان النيل هو فى الواقع عينات طبقات الارض فى المناطق التى يمر بها ماؤه ، ومنها مواد مشعة ، واخرى غير مشعة . وكل هذه العينات ترسب عند مصب النهر او فى البقاع المختلفة التى تستطيع الاحتفاظ بالماء فترة حتى يتخلى عن حمله .

وبطريقة فذة تعمل الطبيعة ايضا على فصل جانب من العينات ذات الصفات الطبيعية المتجانسة ، فالتيارات البحرية والنهرية وطبيعة المياه تعمل كمصفاة ترسب الرمال السوداء فى مناطق ، وترسب غيرها فى مناطق أخرى .

ومثل هذه الاجهزة الطبيعية ليست قاصرة على وادى النيل ، بل لها اشباه ونظائر فى شتى انحاء العالم ، وهى موجودة فى كل نهر طويل المجرى ، ويعمل ماؤه على توزيع ثروات الأرض على جانبيه. فمثل هذه الثروات موجودة فى كل مكان ، والمهم هو ان تعرف كيف تستغلها ، وتفيد منها من اقصر طريق، وباقل نفقة .

### اكل ٤٠٠ كيلو

وبفضل « الثوريوم » « اليورانيوم » فى الكميات التى تعثر عليها لأى منهما . فبينما الأول شبه شائع ومنتشر فى اكثر بقاع الأرض ، فان اليورانيوم محدود المناطق واهم موارده فى شمال كندا ، وبعض بلاد افريقيا . وهو يوجد مخلوطا بعدد هائل من الصخور والشوائب . ولتحصل على كيلو واحد من اليورانيوم، فيجب ان تعالج نحو ٤٠٠ كيلو من الصخر والاتربة، مما جعل نفقات الحصول عليه باهظة ، فضلا عن البعثات العلمية الجيولوجية التى تمضى الشهور والسنوات فى الصحارى والجبال للحصول على كميات تصلح للاستغلال .

اما الثوريوم فيتوفر غالبا قرب الانهار حيث تزهو المدنيات وتزدهر وتتوفر وسائل النقل والمعامل والمصانع . وهو يوجد ايضا بكميات كبيرة ففى كل مائة كيلو من الركام تحصل على ٣ او ٩ كيلوجرام من الثوريوم . ومعنى هذا ان نفقات الحصول عليه تقيا تقل الى واحد فى المائة من نفقات الحصول على اليورانيوم .

ورغم ان بعثاتنا الجيولوجية والتعدينية تنتشر فى كل انحاء القطر المصرى للبحث عن اليورانيوم او اى انواع الثروة المعدنية فى الأرض ، فان عددا من الباحثين والمصانع يوجه اهتماما خاصا لدراسة الرمال السوداء التى تحوى نحو ٨ عناصر لها اهمية اقتصادية كبيرة فى عدة صناعات .

### لدينا الآف الأطنان

ومن هذه الدراسة الاتجاه الى مادة الزركونيوم التى تحوى الثوريوم. مادة الوقود الذرى فى المستقبل القريب . وفى زحمة الدراسات والمسئوليات المختلفة فى مؤسسة الطاقة الذرية بانشاص ، يوجه عدد من الباحثين جهودهم لدراسة هذا العنصر الذى تحوى بلادنا منه آلاف الأطنان مما نقله النيل من آلاف السنين

ونقول ان « الثوريوم » هو مادة الوقود النووى فى المستقبل القريب ، لاننا نرى من الآن مادة المستقبل بعد عشرة او عشرين عاما . وهى الماء والهواء . ففى اى منهما تجد الايدروجين الثقيل الذى عرف الخبراء كيف يحولونه الى قنابل ايدروجينية ، ولكن جهودهم لم توفق بعد الى التحكم فى هذه الطاقة المدمرة لتتحول الى طاقة بانية . واستعدادا لهذا المستقبل البعيد وضعنا مشروعا لانتاج نحو ٢٠ طنا من الماء الثقيل كفرع لعمليات انتاج السماد بمعونة كهرباء خزان اسوان.

اما اول مفاعل يستغل الثوريوم لاطلاق الطاقة النووية ، فينتظر ان تبدأ انشاؤه فى العام المقبل حتى تتم كل حلقات الدراسة التمهيدية الخاصة بهذه المادة ، ووليدها اليورانيوم ٢٣٣ .

**فوزى الشتوى**

# في عالم الفنون
# التفكير السينمائي

للأستاذ عبد الفتاح البارودي

هذه البعثات السينمائية التى حضرت المهرجانات العالمية لماذا لا تكتب تقارير فنية تفصيلية عن افلام هذه المهرجانات ؟ ايضا لماذا لا تعقد ندوات فى الاذاعة والتليفزيون والهيئات السينمائية لمناقشة الاتجاهات الفنية العالمية على ضوء مشاهدتها ؟ ولماذا لا نترجم قرارات لجان التحكيم وندرسها لنعرف اسباب فوز وفشل الافلام فى المحيط العالمى ، ونقارن مستوياتها بمستوى افلامنا ؟!.

فى الاسبوع الماضى لم تحصل افلامنا على اى جائزة فى مهرجان موسكو ، وقبل ذلك بايام عادت افلامنا التى اشتركت فى مهرجان برلين بلا جوائز ايضا ، وهكذا يتكرر اشتراكنا فى المهرجانات العالمية دون ان تفوز فيها .. لماذا ؟ انا لا اقارن بين افلامنا وافلام هوليود وبانيوودوروما مثلا ، ولكن الملاحظ ان فى المهرجانات العالمية تفوز احيانا افلام دول احدث منا عهدا بالسينما ، بل ان فى مهرجان موسكو اعطيت جوائز تقديرية لفيلم من بلغاريا وفيلم من تنجانيقا !!

ان الفوز ليس اهم اهداف الاشتراك فى المهرجانات، وانما من اللازم على الأقل ان نستفيد منها باعتبار انها فرصة للاحتكاك الفنى بالتيارات الفنية العالمية ، وخاصة ان السينما عندنا بدات هذا العام مرحلة جديدة قائمة على التنظيم العلمى ، ومن أجل ذلك انشىء القطاع العام السينمائى .

***

ان هذه المرحلة تستلزم دراسة اسباب تخلفنا فى السينما بالذات اكثر من اى فن آخر .. فى الماضى لم تكن تكترث بهذه الدراسة ، لان السينما كان يسيطر عليها منتجون وموزعون اقل ما يقال فيهم او فى معظمهم انهم دخلاء على السينما ، وانما احترفوها من اجل « شباك التذاكر » .. ولكن فى مجتمعنا الجديد الذى نهض بكل المرافق بدا السينمائيون الدارسون — على قلتهم — يشعرون بالمسئولية من الدخلاء بسبب الامكانيات المادية والفنية ، فان مجرد الشعور بالمسئولية ادى الى ظهور بعض افلام جيدة نسبيا ، ولو أنها قليلة جدا ..

وفعلا ظهر اثر ذلك فى المهرجانات العالمية ايضا .. ان السينمائيين الذين عادوا من برلين وموسكو سواء فى العام الماضى او فى هذا العام اكدوا ان افلامنا نالت تقدير الخبراء رغم عدم فوزها .. لم نحصل على مثل هذا التقدير فى العام الماضى اطلاقا ، بل بالعكس كانت افلامنا التى تعرض فى الخارج اضحوكة بين افلام العلم ، وكان النقاد والخبراء يسخرون من تفاهتها ، ويصفون مخرجينا بانهم يستخدمون الفوتوغرافيا بدل الكاميرا ، ويصفون ممثلينا بانهم يطيلون الوقوف امام المرآه قبل دخول البلاتو ، وقال الناقد « ماكلاين روس » اننا نخرج افلامنا داخل علب كبريت !!

***

كل هذا بدا يتغير فى مجتمعنا الجديد ، وبدانا ننتج افلاما ان لم تكن فى المستوى العالمى طبعا الا ان بعضها يبشر بان السينما عندنا بدات تنتقل من مستوى الخربة الى مستوى يثير الانتباه الى اننا نحاول المساهمة الجادة فى الحقل السينمائى ..

طبعا هذا لايكفى .. ولا يكفى مجرد انشاء القطاع السينمائى العام ، الا اذا ادركنا معنى التفكير السينمائى .. فليس صحيحا ان افلامنا لا تنال رواجا عالميا لمجرد ان لغتنا محدودة الانتشار كما يقول بعض السينمائيين مثلا .. ان المشكلة مشكلة تفكير ، ولو كانت مشكلة لغة لما فازت فى مهرجانات عالمية كثيرة افلام يابانية وهندية ناطقة باللغة المحلية

.. وامامنا مثال واقعى يؤكد اهمية التفكير السينمائى فى هوليوود عاصمة السينما .. ان هوليوود كانت تقيم نظرية السينما على اساس الاعتماد على « التكنيك » ، ومنذ حوالى خمسة عشر عاما ظهرت فى ايطاليا مدرسة جديدة ذات نظرية جديدة تعتمد على التفكير الموضوعى ، وشعرت هوليوود بالمنافسة فاسرفت فى التكنيك واستخدمت آلات حديثة وأدخلت السينما سكوب والالوان ، ومع ذلك فشلت فى المنافسة ، فعادت الى الاهتمام « بالتفكير » ، وفعلا

انتجت افلاما ممتازة لان موضوعاتها ممتازة ، رغم ان بعضها مسجل على فيلم « اسود وابيض » .

***

اننا فى حاجة اولا الى تعميق التفكير السينمائى ، ولا جدال فى ان التخطيطات التى وضعها القطاع العام تتجه الى ذلك ، ولكن المسألة ليست سهلة ..

ان المفكر السينمائى العالمى مر بمراحل كثيرة ومارس تجارب كثيرة ، فضلا عن انه يعيش فى تيارات ثقافية مستمرة واستكشافات فنية متواصلة .. ان السينما العالمية بدأت من مرحلة تصوير قصة تافهة بطلها الجاد « كلب مخلص » ، وبطلها الضاحك أو المضحك « قطعة دندرمة » ، ثم تطورت حتى وصلت الى مرحلة التغلغل فى مشكلات تحتاج فى تناولها فنيا الى متخصصين متعمقين فى دراسة الفنون والفلسفة والعلوم الاجتماعية والتكنولوجية والسيكولوجية .. والسينما العالمية بدأت من مرحلة استخدام آلات بدائية ، الى مرحلة استخدام اجهزة تكاد تحول الفن السينمائى الى عمليات ميكانيكية وهندسية .. والسينما العالمية بدأت من مرحلة تجمع كل العمليات فى فرد واحد ، الى مرحلة التخصص بالمعنى الدقيق ، بحيث اصبحت للعملية الواحدة تفريعات تحتاج الى تخصص فى كل تفريع .. فالسيناريو مثلا اصبح يعد فى خمس او ست مراحل تختلف كل منها عن المراحل الاخرى ، وتحتاج كل مرحلة الى دراسةمعينة وممارسة معينة وخبرة معينة .. واساليب التعبير السينمائى اصبحت لها دراسات مستفيضة ، وظهرت كتب وابحاث تتناولها كفنون قائمة بذاتها .. وهكذا

اننا فى حاجة الى دراسة هذا كله .. وفعلا انشأنا معهد السينما ومعهد السيناريو ، وخصصنا جانبا كبيرا منمشروع المكتبة العربية للدراساتالسينمائية ، ولكننا لو بحثنا برامج المعهدين والكتب التى ستترجم او ستؤلف للمكتبة وجدنا انها فى حاجة الىاستكمالات جوهرية ..

فالبرامج الدراسية تفتقر الى مناهج الفلسفة وفلسفة الفن بالذات .. كيف نخلق المؤلف السينمائى والسيناريست اذا لم يدرس تاريخ التفكير البشرى والنظريات الفنية وعلاقاتها بالنظريات الفلسفية قديما وحديثا ؟! فى الغرب يصفون المؤلف السينمائى بانه الفنان الذى « يغسل الشخصية » ، وهو فى سبيل ذلك يجب ان يتعمق فى معرفة وتحليل المشكلات التى يواجهها الفرد والمجتمع ، فكيف يصل الى هذا المستوى اذا لم يكن مثقفا الى درجة تجعله قادرا على هذه المعرفة وهذا التحليل ، فضلا عن ضرورة تعمقه فى الثقافة الفنية الى درجة تجعله قادرا على التناول الفنى بالوسائل والادوات السينمائية ؟ ثم ان الحياة الحديثة واجهت الفرد والمجتمع بمشكلات لا حصر لها وفى غاية التعقيد ، ولهذا زادت مساحة الحقل الذى يعمل فيه المفكر السينمائى بزيادة عدد المحتاجين الى « غسل شخصياتهم لان الفرد الغربى فى الحياة الآلية والالكترونية اصبح رقما بين الملايين ، ومن اجل ذلك يكاد يكون المفكر السينمائى عاجزا عن معرفة الحقائق ، وكل ما يستطيعه ان يحاول البحث عنها فى ممرات ضيقة ، لان الناس فى ازدحامهم الكثيف لا يلتفتون اليه وهم يسيرون سيرا ميكانيكيا للبحث عن الطعام اليومى فى زحمة الحياة وزحمة الاوهام .

ان مشكلاتنا تختلف عن مشكلات المجتمع الاوروبى مثلا ، ولكننا نعيش فى عالم متشابك ، ومن اللازم ان نتعمق فى فهم المشكلات البشرية وفى مختلف الدراسات ، اولا لنستفيد من الافلام العالمية ، وثانيا لنستطيع معرفة امكانيات السينما فى تحليل المشكلات ، وثالثا لنستطيع مواجهة مشكلاتنا ونحن نخوض تجارب جديدة ونبنى حياة جديدة .. اننا الآن نواجه تغييرا جذريا فى حياتنا .. تغير مجتمعنا وتغيرت اقتصادياتنا ومثالياتنا ، ونتيجة لذلك تغيرت مفهوماتنا الفنية تغييرا حتميا ، واصبح من اللازم ان يشارك المفكر السينمائى فى خوض التجارب الجديدة وفى بناء الحياة الجديدة باسلوب علمى يختلف كل الاختلاف عن الاسلوب السينمائى القديم الذى كان يحترف السينما فى مجتمع متخلف وبتفكير سينمائى فى غاية السذاجة .

***

ايضا فى الكتب السينمائية .. ان مشروع المكتبة العربية يتضمن ترجمة وتأليف كتب ومراجع مفيدة

جدا ، ومع ذلك فاننا فى حاجة الى الاستكمال ... فمن اللازم ترجمة مراجع ترشد الطالب والباحث والمفكر السينمائى الى معرفة التطورات السينمائية من المرحلة البدائية الى المرحلة المعقدة التى تجتازها السينما العالمية الآن ، وايضا معرفة تاريخ وتطورات الافلام الغنائية والموسيقية ، وخاصة اننا نمارس هذا النوع بالذات بشكل ملحوظ ، بل انه اكثر الانواع رواجا ..

***

والمسألة ليست مجرد معرفة معلومات تاريخية .. طبعا من اللازم معرفة تاريخ السينما ، وانما الاهم للمفكر السينمائى أن يدرس تطورات الفنون السينمائية وكيف حدثت ولماذا حدثت ، ويدرس صلة هذه التطورات بالتطورات الثقافية والفنية ، ويحاول ان يستخلص من ذلك كله مدى تأثر السينما عندنا بهذه التطورات .. الخ .. ان الدراسة المقارنة تفيدنا جدا فى معرفة العوامل التى ادت الى تخلفنا فى السينما رغم أنها من الفنون الحديثة فى العالم كله .

اننا عندما نحاول تناول قصص الادباء الكبار فى السينما وفعلا انتجنا فيلما عن « قصة زينب » للدكتور هيكل ، كانت هوليوود تنتج افلاما عن الجانجستر ورعاة البقر ، ومع ذلك فاننا لم نواصل هذا الاتجاه الادبى ، بل اتجهنا الى القصص «الهايفة» ، بينما اتجهت هوليوود الى الادب الرفيع فى كثير من افلامها ، ورغم أنها انتجت ولا تزال تنتج افلاما تافهة ، فان الاتجاه العام لاستوديوهاتها واستوديوهات الدول المتقدمة فنيا سار نحو الاهتمام بالقيمة الادبية ..

وفى الافلام الكوميدية حدثت نفس التطورات .. ان الكوميديا التى بدأت فى الاستوديوهات العالمية بالاضحاك الساذج والحركات التهريجية ، تطورت على أسس فلسفة الضحك نحو السخرية من الذهول ، والآلية ، والسطحية فى التفكير وفى التصرفات ، واصبحت ذات مغزى عميق ، واداة للنقد ووسيلة للاصلاح الاجتماعى ، وظلت تتطور حتى وصلت الى مستوى رائع فى افلام شارلى شابلن مثلا ، بينما ظلت افلامنا الضاحكة تثير الضحك غالبا بالنكت السطحية واللفظية والتريقة والحركات التهريجية .

ان دراسة تاريخ السينما دراسة تفصيلية ومقارنة من اهم العوامل التى تكشف لنا اسباب تخلفنا السينمائى ، وبالتالى تتيح لنا معالجة عيوبنا .

كذلك من اللازم ترجمة سيناريوهات الافلام او اهم الافلام العالمية بالترتيب التاريخى ، لنعرف المراحل التى مر بها فن السيناريو وفن « النثر السينمائى » ، وهذه نقطة مهمة جدا ، لان اضخم مشكلة نواجهها فى افلامنا هى مشكلة السيناريست .

واذا لم يكن فى فترة الدراسة بمعهد السينما ومعهد السيناريو متسع للدراسات التفصيلية ، فمن الضرورى انشاء أقسام عليا للتخصص ، وتكليف الدارسين بتقديم ابحاث ورسالات أكاديمية فى مختلف فروع الفنون السينمائية ، وايضا من اللازم ايفاد اكبر عدد ممكن من الدارسين الى الخارج فى بعثات طويلة الأجل للدراسات المتخصصة .

***

ان القطاع السينمائى العام بدأ مرحلة التنفيذ على أسس مدروسة ، وهذه نقطة تحول من المرحلة الارتجالية الى المرحلة العلمية ، ولكن من الضرورى تأكيد هذا التحول بالمنهج الاكاديمى ، ان هذا القطاع انقذ السينما من سيطرة المنتجين والموزعين ، ولكن ماذا يستطيع ان يفعله لتوفير القصص والسيناريوهات ذات المستوى الفنى ؟! فعلا تكونت أجهزة فنية للبحث عن القصص ومراجعتها وتكييفها فى الاسلوب السينمائى ، ولكن العاملين فى هذه الاجهزة قراوا مئات القصص ولم يعثروا الا على عدد ضئيل جدا صالح للاعداد السينمائى .

هذه خطوة مفيدة ولكنها غير كافية .. اننا فى حاجة الى تعميق التفكير السينمائى بالدراسات المنهجية فى المعاهد ، وترجمة مئات المراجع ، والاهتمام بتدريس النظريات الفنية والفلسفة وفلسفة الفن ، وفى حاجة الى معرفة التيارات الثقافية والاتجاهات الفنية الحديثة التى تظهر فى المهرجانات العالمية ، سواء المهرجانات التى تقام فى الخارج ، أو الاسابيع السينمائية التى تقام فى بلادنا ، فمن الملحوظ أننا لا نزال نحضر المهرجانات الخارجية كضيوف شرف ، ونكتفى فى الاسابيع السينمائية بالخطب وحفلات الشاى !!

**عبد الفتاح البارودى**

# أخبار علمية وأدبية

بقلم احمد الصادق عبد الصمد ومحمد محمود صبيح

**فيم الجمـــال ؟**

قال العباس بن عبد المطلب : يارسول الله ! فيم الجمال . قال : فى اللسان

**الفضل والمروءة والحسب والدين :**

قام رجل من مجاشع الى النبى صلى الله عليـــه وسلم فقال يا رسول الله : ألست افضل قومى ؟

فقال : ان كان لك عقل فلك فضل ، وان كان لك خلق فلك مروءة ، وان كان لك مال فلك حسب ، وان كان لك تقى فلك دين .

**من عجيب ما خلق الله :**

**خيوط العنكبوت**

ربما تعجب حينما تعلم ان تلك الخيوط التى ينسج العنكبوت منها بيته هى اقوى من خيوط الحرير بل من كل خيط . ان سمك الواحد منها ۰۰۰ر۱/۵ من المليمتر وان الواحد منها يتكون من خيطين الى ثمانية خيوط مجدولة معا .

وقد يدفع هذا الى التساؤل : لماذا لم يستعمل حرير العنكبوت بدلا من الحرير العادى ؟ .

والجواب ان تجربة لذلك قـــد قامت فانشئت « مزرعة العناكب » غير ان اطعام هذه العناكب وجمع خيوطها ولفها تطلبت جهدا كبيرا وتكاليف غالية جعل سعر الناتج منها مرتفعا لا يمكن احتماله للاستعمال العـــادى .

ولكن العلماء يستعملون خيوط العنكبوت خطوط على الصور التى تكون تحت المجهر او التى ترســـم لرصد الكواكب من خلال المنظار المكبر .

وتصنع العناكب خيوطا من مادة لزجة تخرجها من انابيب فى اسفل اجسامها سرعان ما تجف اذا تعرضت للهواء وحينئذ يأخذ العنكبوت فى لفها .

وتقوم العناكب بصنع خيوط لاغراضها المختلفة فهى تصنع خيوطا ذات كرات لزجة لتصيد بها الحشرات . كما تصنع خيوطا قوية نوعا ما لتتدلى بها من اعلى الى اسفل . وهناك خيوط رفيعة تقوم بعملها انثى العنكبوت لتلف بها بيضها فتصبح كالكيس لها . كما تصنـــع صغار العناكب خيوطا دقيقة تركز نفسها على طرف منها يطيرها الهواء .

**لغـــة النحـــل**

يدرس الانسان منذ امد بعيد حياة النحل العجيبة وقد استطاع الوصول الى معرفة كثير منها غير ان الذى لم يستطع الانسان الوصول اليه احقابا طويلة هو طريقة تفاهم النحل مع بعضه البعض .

وقد استطاع الانسان منذ بضع سنين ان يكتشف طريقة تفاهم النحل . وقد ظهر له ان النحل يعبر عما يقصده بطريق الرقص . او بمعنى آخر الاهتزاز والدوران بشكل خاص .

فاذا عثرت نحلة ما على على شجيرة مثلا امتصت جزءا من رحيقها وعادت ادراجها لتعلم اقرانها فيتعاونوا على نقل الغذاء الى خليتهم .

تبدا النحلة باعطاء بعض اقرانها جزءا من الرحيق الذى امتصته من الشجيرة مثلا لتعرفهم نوع مابها . ثم تدور فى دائرة صغيرة بطريق الاهتزاز الى اعلى والى اسفل فاذا ماكانت الشجيرة ناحيـــة قرص الشمس اخترقت مركز الدائرة بالطيران الى اعلى واذا كانت الشجيرة فى الجهة المضادة لقرص الشمس اخترقت مركز الدائرة بالطيران الى أسفل ويتبعها فى كل ذلك اقرانهـــا .

## المعارون فى البلاد الاجنبية يؤلفون كتبا عنها :

يقوم المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب الآن بمشروع جديد للاستفادة من ذوى الخبرات والثقافات الذين يعارون للخارج ، وذلك عن طريق تكليفهم بتأليف كتب عن مشاهداتهم فى البلاد المعارين اليها ، وخاصة عن الدول التى ليس لدينا معلومات عنها .

ولقد تقرر ان يرصد بميزانية المجلس اعتماد سنوى لهذه الاعمال ، ومنح جوائز قيمة للمؤلفات الفائزة تتراوح قيمتها بين مائة وثلاثمائة جنيه على ان يتقدم المؤلف بانتاجه خلال عام على الاكثر من تاريخ عودته . كما تقرر بان يسمح لاكثر من مؤلف بالاشتراك فى كتاب واحد . وان يسمح كذلك للمواطنين الذين يقيمون فى اى بلد اجنبى بالاشتراك فى هذا المشروع .

## مكاتب جديدة للاعلام العربى

وافق المكتب الدائم للاعلام العربى بالأمانة العامة للجامعة العربية فى اجتماعه الاخير على انشاء اربعة مكاتب جديدة للجامعة العربية فى كل من اديس ابابا ونيروبى بشرق افريقيا وداكار بغرب افريقيا وجاكارتا بجنوب شرق آسيا كما تقرر نقل مكتب كوبنهاجن الى استوكهولم حتى يتوسط الدول الاسكندنافية .

كما وافق المكتب الدائم للاعلام على المشروع الذى تقدم به يحيى ابو بكر رئيس اللجنة الدائم للاعلام بتوزيع المكاتب توزيعا جديدا على حسب الخطة التى اقرتها اللجنة فى اجتماعها الأخير بالجزائر .

## نجاح فكرة القضاء على البعوض بالمواد الذرية :

حقق العلماء العرب نصرا علميا جديدا . فمع اعياد الثورة نجح العلماء العرب فى القضاء على البعوض الناقل لمرض الملاريا تعاونت مؤسسة الطاقة الذرية مع الهيئة الصحية العالمية للقضاء على البعوض . وذلك باستخدام الفوسفور المشع المنتج محليا فى الفرن الذرى العربى . وتمت الابحاث العلمية بطريقة ناجحة فى معرفة سر توالد بعوض الملاريا تمت التجربة فى واحة سيوة استمرت الابحاث شهرا كاملا . اجريت التجربة باستخدام النظائر المشعة
من عجيب ما خلق الله :

ويقول المهندس امين الخشاب سكرتير عام مؤسسة الطاقة الذرية . ان هذا البحث يعتبر نصرا علميا حققه علماؤنا العرب . وقد تم النجاح نتيجة للتعاون العلمى الصادق والجهود التى تبذلها مؤسسة الطاقة الذرية فى ميدان الابحاث الذرية لحل مشكلاتنا .

## الجزائر تجتاز معركة تعريب الثقافة :

تحدث « الأخضر الابراهيمى » سفير الجزائر فى القاهرة عن مشكلات التعليم والثقافة التى واجهت حكومة الجزائر فقال : لقد قام الفرنسيون بحرق اكثر من ٨٠٠ الف كتاب ومرجع فى مختلف العلوم كما انهم منعوا تدريس اللغة العربية وكانوا يعتبرونها لغة اجنبية .. وقد ذللنا الصعاب التى واجهتنا عند افتتاح السنة الدراسية بمساعدة اخواننا فى الجمهورية العربية المتحدة ..

وان معركة التعريب ليست هينة انها معركة تعقب الرواسب ومطاردة بقايا الاستعمار بعد انسحابه . انه صراع مغارات لا يقاس عمره بالساعات والأيام ولكن بالسنوات ولو قلنا غير هذا لكنا فى تناقض مع انفسنا . وقد احدثنا فى ميدان التعريب بعض التغييرات قد يكون عليها طابع الارتجال . ولكن عندنا ايمان قوى بأن المستقبل سيتيح الفرص لتصحيح مساوىء الارتجال ..

## وضع حجر الأساس لخمسة مراكز علمية :

قام منذ ايام السيد صلاح هدايت وزير البحث العلمى ــ نيابة عن الرئيس جمال عبد الناصر ــ بارساء احجار الاساس لخمسة معاهد ومراكز علمية هى : معهد بحوث الرمد بالجيزة ، والمعامل المركزية للمعايرة واختبار المواد بشارع الهرم ، ومركز بحوث الدواء بالهرم ، ومركز البحوث الافريقية بمدينة الأوقاف بالدقى ، ومركز الاعلام والتوثيق الذى سيقام ايضا بالدقى ، وسيقوم هذا المركز بتجميع اكبر عدد ممكن من الوثائق العلمية والفنية وانشاء مكتبات للعلوم والتكنولوجيا ومكتبات متخصصة .

كما تعمل وزارة البحث العلمى الآن على انشاء مراكز علمية اخرى منها مركز لبحوث الغزل والنسيج بالاسكندرية ، ومركز لبحوث المعادن الحديدية فى حلوان ، ومركز لبحوث البترول فى مدينة نصر ، ومركز للبحوث الزراعية فى بهتيم

## ترجمة مسرحية « ايزيس » الى اللغة الالمانية :

اتم الاستاذ لؤى طه الراوى ترجمة مسرحية « ايزيس » للاستاذ توفيق الحكيم الى اللغة الالمانية بتكليف من المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب .

# من أحسن القصص

## الشاعر

للقصصي الانجليزي سومرست موم

ترجمة الاديبة نجده فتحى صفوت

لست بطبعي من المغرمين بمشاهير الرجال ، ولم احتمل قط ذلك الهوى الــذى يضطرم فى نفوس الكثيرين لمقابلة عظماء الناس او مصافحتهم . فاذا دعيت لمقابلة شخص فاق اقرانه بمنزلته او باعماله ، التمست عذرا مهذبا لاجتناب ذلك الشرف . وعندما عرض على صديقى « ديغو تورى » اعطائى كتاب تعريف الى « سانتا آنا » رفضت ، ولكن عذرى فى هذه المرة كان صادقا .

ولم يكن « سانتا آنا » شاعرا عظيما فحسب ، بل شخصية شعرية ايضا ، سارت حياته ومغامراته — فى اسبانيــا على الاقل — مسير القصص الخياليــة والاساطير . وكانت رؤية مثل هذا الرجل فى شيخوخته ملذة طريفة . ولكننى اعلم انه مريض ، ولن تكون مقابلته شخصا غريبا اجنبيا الا ازعاجا له .

كان « كاليستو دى سانتا آنا » آخر شــعراء المدرسة التى تتحرى الروعة والجزالة ، عاش فى عالم لا ينظر الى مذهب بايرون بعين الرضا ، حيــاة « بايرونية » حافلة بالمغامرات ، ثم صاغها فى سلسلة من القصائد التى جلبت له شهرة لم تتح لاحــد من معاصريه . واشهد ان حكمى على قيمة تلك القصائد الفنية لن يكون خالصا او محايدا ، لاننى عندما قرأتها للمرة الاولى كنت لا ازال فى الثــالثة والعشرين من عمرى ، ففتنتنى وهزتنى عند ذلك . لقــد اصبانى مافيها من عاطفة مشبوبة وبطولة متعالية ، وما ازدهت به من حيوية والوان .. وما تزال ابياته الرائعة ، بديباجتها المنمقة وايقاعهــا المسحور عالقة الوشائج بذكريات حداثتى ، فلا املك قــراءتها الآن الا بقلب خافق . واننى لاميل الى الظن بان « كاليستو دى سانتا آنا » جدير بالشهرة التى حازها بين الشعوب الناطقة بالاسبانية ، فاياته تجرى على السنة الشبان كلهم ، وطالمــا حدثنى اصدقائى عن بداوة اساليبه وحرارة خطبه — فقد كان سياسيا كما كان شاعرا — ولهجوا ببديهته النادرة وغرامياته الفذة . كان ثائرا وخارجا على القانون احيانا ، ومغامرا جسورا دائما ، ولكنه كان اكثر من كل ذلك عاشقا كبيرا . وكنا نعلم جميعا بغرامه الشديد بهذه الممثلة الشهيرة ، او تلك المغنية الساحرة ، فلا نفتأ ننشد قصائده التى يصف فيها حبه وشجونه ، ونظل نعيدها حتى نحفظهــــا وتنطبع فى قلوبنا .

وكنا نعلم ايضا ان غادة اسبانية من اعز سـلائل البوربون واعرقها ، نزلت عند رغبته ، ودخلت الدير اذ هجرها ، فقد كان اسلافها الملكيون من آل فيليب اذا ملوا خليلة لهم ترهبت ودخلت الدير ، فلا يليق بمن خالت ملكا ان تتخــذ لهـــا خليلا سواه . و « كاليستو دى سانتا آنا » الم يكن اعظم من ملوك زمانه ؟ ولكم اعجبنا من السيدة تصرفها الشــعرى النبيل ، ففيه شرف لها ، وتمجيد اى تمجيد لشاعرنا

ولكن ذلك كله كان من سنين عديدة ، فقد اعرض « دون كاليستو » عن الدنيا بترفع وازدراء ، اذ لم يعد لديها من مزيد تمنحه ، وثاب منذ ربع قرن الى بلدته الاولى « اسيجة » يحيــا فيها حيـــاة زهادة واعتزال . وقد عرض على « ديغو تورى » ان يعرفنى به عندما اعربت عن اعتزامى زيارتها — وكنت اقضى اسبوعا او اسبوعين فى اشبيلية — ولم تكن زيارتى من اجله ، بل لانها مدينة اندلسية جذابة ، لهــا فى نفسى ذكريات ووشائج عزيزة . ويبــدو ان « دون كاليستو » كان يسمح لبعض ناشئة الادباء بزيارته احيــانا ، ويتحدث اليهم ، بــين الوقت والآخر ، بالحرارة التى سحرت سامعيه فى سالف ايام مجده .

فسألته : « ترى كيف يبدو الآن ؟ »

— « رائعــا »

— « هل لديك صورة له ؟ »

ـ « هيهات .. فقد ابى ان يواجه آلة تصوير منذ كان فى الخامسة والثلاثين . وهو يقول انه لا يريد للاجيال القادمة ان تعرفه الا فتيا »

واعترف ان هذا الزهو قد اثار اعجابى . فانىاعلم انه كان فى شبابه على حظ عظيم من الجمال ، كما ان مقطوعته التى كتبها عندما بدا يحس ذهاب الشباب الى غير عودة ، تظهر بأى جزع مرير كان يرقب زوال مظهره الاخاذ الذى كان مثار الاعجاب وفتنة الابصار.

ولكنى رفضت عرض صاحبى . فحسبى منه ان اقرا ـ مرة اخرى ـ قصائده التى اعرفها جيدا ، ثم اكون حرا فاسرح فى شوارع « اسيجة » الهادئة الشاحبة كما اشاء . ولكن راعنى أن استلم فى امسية وصولى رسالة من الرجل العظيم نفسه ، وهو يقول ان « ديغو تورى » كتب اليه منبئا بمجيئى ، ويسره ان ازوره فى الساعة الحادية عشرة من ضحي اليوم التالى . فلم يعد لي فى هذه الحالة مناص من الذهاب الى داره فى الساعة المعينة .

ويقع الفندق الذى نزلته على « البلازا » ، وكان « البلازا » فى ذلك الصباح من اصباح الربيع يفيض بالحركة والحياة . ولكننى لم اكد أخرج عنه حتى وجدتنى اسير فى بلد مهجور . كانت الشوارع البيضاء الملتوية ساكنة خالية الا من بعض النسوة فى ثياب سود يدلفن فى جوانبها بخطى رتيبة ، عائدات من صلواتهن . و « اسيجة » مدينة كنائس ، فلا تمشى فيها خطوة دون أن تلقى واجهة متداعية لكنيسة قديمة ، أو برجا عششت فيه اللقالق . وفى طريقى وقفت برهة أنظر الى عانة من الحمير الصغيرة تمر امامى ، وكانت أجلالها الحمر باهتة اللون وعلى ظهرها سلال محملة بما لست اعلم .

على أن « اسيجة »كانت فى زمانها مدينة مهمة ، والكثرة من هذه الدور البيض لها فوق بواباتهاطاقات رخامية ضخمة ، نقشت عليها شعائر اخاذة ، هى رموز الاسر العريقة التى اقامت فيها . فالى هذه البقعة كان يفزع اغنياء « العالم الجديد » ، والمغامرون الذين جمعوا ثرواتهم فى امريكا ، ليقضوا اعوامهم الأخيرة . وكان « دون كاليستو » يقيم فى احدى هذه الدور . وعندما وقفت على الباب منتظرا بعد ان شددت الجرس ، سرنى ان اجده يعيش فى هذا الجو الشعرى الذى يلائمه كل الملاءمة ، فلهذه البوابة الضخمة رهبة تنسجم والفكرة التى بذهنى عن هذا الشاعر الأنيق .. ولم يرد على احد بالرغم من اننى سمعت الجرس يرن فى ارجاء الدار ، فشددته ثانية ثم ثالثة ، حتى جاءت الى البوابة أخيرا عجوز لها شارب كثيف ، وسألتنى :

ـ « ماذا تريد ؟ »

وكانت عيناها سوداوين صافيتين ، ولكن نظرتها كئيبة عابسة ، وقدرت أنها هى التى ترعى الشاعر العجوز ، فناولتها بطاقتى قائلا :

ـ « انى مع سيدك على ميعاد »

ففتحت البوابة الحديدية واومات الى بالدخول ، ثم سألتنى ان انتظر وصعدت الى الطابق العلوى . وكان الجو فى فناء الدار لطيف البرودة بعد قيظ الشارع . وشكل البناء نبيلا فى تناسبه ، غير ان الدهان كان حائلا ومشوها ، والبلاط على الارض مفطورا ومكسورا ، وقد انسلخت عن الجدران قشور من الجص تساقطت هنا وهناك . وبدت على كل شيء فى الدار آثار للفقر فى غير قذارة . وكنت اعلم أن « دون كاليستو » أصبح الآن معدما ، فقد تدفق عليه المال غزيرا فى بعض ايامه ، ولكنه لم يحفل له بل أسرف فى انفاقه ، ولم يكن خافيا انه الآن فى شظف من العيش ، وان أبت كبرياؤه ان يقر بشيء من ذلك او يكترث له . وفى وسط الفناء منضدة على جانبيها كرسيان متأرجحان ، وفوقها جرائد قديمة يرجع تاريخها الى اسبوعين . ترى اى احلام كانت تطوف بخياله وهو جالس يدخن هناك فى ليالى الصيف

الحارة ؟ وعلى الجدران ، وراء صف الأعمدة تصاوير اسبانية غامقة الألوان رديئة الصنع ، وهنا وهنالك دولاب اسباني قديم مغبر ، عليه آنية لماعة ، بعضها مشعوب بعد كسر . وعلى جانبي الباب علق مسدسان قديمان امتعني ان اتخيل انهما كانا السلاح الذي استعمله في اشهر معركة له ، وهي تلك التي خاضها من اجل الراقصة « بيبا مونتانيز » — واحسب انها الآن عجوز شمطاء قد انحنى الظهر منها وتساقطت الاسنان — فقتل فيها دوق دوس هرمونوس .

كان هذا المشهد ، وما اثاره من صور متداعية تراءت لي في هالة من الغموض ، منطبقا على الشاعر الخيالي الى حد بعيد ، حتى استحوذ على جو المكان . وكانت آثار الفقر المحيطة به قد اضفت عليه مسحة من النبل والجلال توافق ما كان عليه الشاعر من مجد في شبابه . ان روح اسلافه الغزاة الاقدمين قد انحدرت اليه ، فكان ينسجم مع حياته النابهة كل الانسجام ان تختم في تلك الدار العتيقة . هكذا ينبغي ان يعيش الشاعر ويموت .. وكنت حين قصدت المكان فاتر الرغبة في هذا اللقاء ، بل وعلى شيء من الضجر . ولكنني اخذت الآن احس بضرب من القلق والاضطراب ، فاولعت سيجارة . ترى ما الذي اخر الشاعر الشيخ ، وقد جئت في الموعد المضروب ؟ وكان السكون مزعجا في عمقه ، واشباح الماضي قد غمرت الفناء الساكن ، وكان عهدا زائلا ميتا قد بعث الآن امامي وسرت فيه حياة شاحبة غامضة . حقا كانت لرجال ذلك العهد صبوات ونزوات وبداوة في الروح زالت اليوم عن دنيانا ، فلم نعد بعدهم قادرين على القيام باعمالهم الطائشة الجريئة وبطولاتهم الروائية الخارقة .

واخيرا سمعت صوتا ووجف قلبي ، فقد كنت هائج النفس مضطربا ، حتى اذا ابصرته وهو ينزل السلالم ببطء ، حاملا بطاقتي بيده ، كتمت انفاسي . كان رجلا مديد القامة ونحيفا جدا ، له بشرة بلون العاج القديم . وكان شعره غزيرا ايضا الا ان حاجبيه كانا ما يزالان غامقي اللون ، وقد زادا حدة النار القاتمة الكئيبة التي تشعها عيناه . ومن العجيب ان تحتفظ هاتان العينان السوداوان ببريقهما في مثل سنه . وكان انفه اقنى وفمه مطبقا في حزم . واستقرت عيناه العابستان علي وهو يقترب مني ، فبدت عليهما نظرة استجلاء باردة . وكانت ملابسه سوداء ، وفي يده قبعة عريضة الاطار ، وقد بدا عليه الزهو والثقة . انه حقا كما رجوت ان يكون . وكلما تفرست فيه ادركت كيف هز قلوب الناس وسلب البابهم . كان شاعرا في كل « بوصة » منه .

وبلغ فناء الدار اخيرا ، فاتجه نحوي وئيدا . وكانت عيناه اشبه بعيني النسر . انها للحظة هائلة . فهنا يقف امامي خليفة شعراء الأسبان العظام ، من « هريرا » الجزل و « فراي لويس » رب الحنين والحركة و « خوان دي لاكروز » الصوفي و «غونغورا» شاعر الكآبة والغموض . انه آخر تلك السلسلة الطويلة ، وهو لم يقتف آثارهم ويرث مجدهم اعتباطا ، بل عن جدارة واستحقاق . ومن الغريب في تلك اللحظة أن تدوي في رأسي انشودة رقيقة له هي اشهر مقطوعاته الغنائية .

وكنت في غمرة من الخجل والارتباك ، غير انني لحسن الحظ كنت أعددت الجملة التي احييه بها ، فقلت :

— « انه لشرف خارق لغريب مثلي ، ايها المايسترو ، ان يتعرف بشاعر عظيم مثلك » .

فارتسمت على عينيه الصارمتين بسمة هازئة ، وانفرجت شفتاه العابستان لحظة .

— « انني لست بشاعر يا سنيور ، وانما انا تاجر اهلاب للسفن ، انك اخطات ، فدون كاليستو يقيم في الدار المجاورة »

قد اخطات الدار ..

بغداد — نجدة فتحي صفوة



الدار القومية للطباعة والنشر